جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بالديدامون – شرقية

التربية القرآنية للصحابة وقت الحرب
دراسة موضوعية

إعداد

الدكتور: محمد أحمد محمد عبد المقصود

المدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات الإسلامية
والعربية للبنين بالديدامون – شرقية

E-mail: Mohamedabdelmaqsoud.sha.b@azhar.edu.eg

العـــدد الحادي عشر

١٤٤٦هـ- ٢٠٢٤م

التربية القرآنية للصحابة وقت الحرب "دراسة موضوعية"

محمد أحمد محمد عبد المقصود

قسم التفسير وعلوم القرآن –كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالديدامون بالشرقية-

جامعة الأزهر الشريف-فاقوس – مصر.

البريد الالكتروني: Mohamedabdelmaqsoud.sha.b@azhar.edu.eg

ملخص البحث

يهدف البحث إلى توضيح شمولية المنهج القرآني لكل مناحي الحياة، وتوضيح الحقيقة القرآنية الثابتة، وهي أن المنهج القرآني صالح لإدارة الحياة في كل مناحيها دون التقيد بالزمان والمكان ، فهو مصلح لهما.

ويتكون هذا البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة: أما المقدمة: وتشتمل على ما يلي: أهمية الموضوع، وأسباب اختيار الموضوع، وأهداف البحث، والدراسات السابقة ومنهج البحث، وخطة البحث، وجاء المبحث الأول بعنوان: حول مفهوم التربية القرآنية، ويشتمل على: المطلب الأول: تعريف التربية لغة واصطلاحاً، المطلب الثاني: التربية في القرآن الكريم، المطلب الثالث: التربية بين المنهج القرآني والمناهج الأرضية أما المبحث الثاني فبعنوان: أصالة السلم في المنهج القرآني، ويشتمل على ثلاثة مطالب: المطلب الأول: تنقية النفوس من عصبية القبيلة وحميتها ،المطلب الثاني: تصحيح الغاية ، المطلب الثالث: تأصيل السلم في النفوس ، والمبحث الثالث بعنوان : الغاية من القتال في المنهج القرآني، ويشتمل على مطلبين: المطلب الأول: منهج القرآن في تشريع القتال ، المطلب الثاني: الغاية من القتال في القرآن، المبحث الرابع: رد الاعتداء وضوابطه في المنهج القرآني، ثم الخاتمة: وتشتمل على: النتائج والتوصيات ثم الفهارس: وتشتمل على: فهرس المراجع– فهرس الموضوعات .

وأهم نتائج البحث هي: أن معارك النبي -ﷺ- لم تكن للاستيلاء على الأراضي وقتْل الأبرياء وسفْك الدماء، وأن الإسلام دين الرحمة، والسلام، وجاء لهداية الناس مع عدم إكراههم في دخولهم لدينه وترك ما سواه من زيف وباطل.

وكانت التوصيات: إفراد مسألة التربية بالتدريج في شتى المأمورات والمنهيات بدراسات مستقلة، لبيان حكمة الله-ﷻ- في تشريعاته، ودراسة مسائل القتال في الإسلام دراسة متأنية مفرقين بين جهاد الدفع، وجهاد العدوان، وبيان الاختلاف في أحوال المجاهدين والأحكام الخاصة بهم في الجهاد في الديار وخارجها.

الكلمات المفتاحية:(التربية- الصحابة-وقت- الحرب- القرآنية).

Qur’anic education for the Companions in times of war “An objective study”

Mohamed Ahmed Mohamed Abdel Maqsoud
Department of Interpretation and Qur’anic Sciences - College of Islamic and Arabic Studies for Boys in Didamon - Sharkia Governorate –faqus- Al-Azhar University – Egypt
e-mail: Mohamedabdelmaqsoud.sha.b@azhar.edu.eg

Abstract:

The research aims to clarify the comprehensiveness of the Qur’anic approach to all aspects of life, and to clarify the established Qur’anic truth, which is that the Qur’anic approach is valid for managing life in all its aspects without being restricted by time and place, as it is beneficial to them both.

This research consists of an introduction, three sections, and a conclusion: As for the introduction, it includes the following: the importance of the topic, the reasons for choosing the topic, the research objectives, previous studies, the research methodology, and the research plan The first topic was entitled: On the concept of Quranic education, and it includes: The first topic: Definition of education linguistically and terminologically, The second topic: Education in the Holy Qur’an, The third topic: Education between the Qur’anic method and earthly curricula, As for the second topic, it is entitled: The authenticity of peace in the Qur’anic method, It includes three demands: the first demand: purifying souls from the tribal fanaticism and its fever, the second demand: correcting the goal, the third demand: establishing peace in souls، The third topic is entitled: The purpose of fighting in the Qur’anic approach, and it includes two requirements: The first requirement: The Qur’anic approach in legislating fighting. The second topic: The purpose of fighting in the Qur’an. The fourth topic: Repel aggression and its controls in the Qur’anic approach. Then the conclusion: It includes: Results and recommendations, then indexes: It includes: an index of references - an index of topics.

The most important search results are

-The battles of the Prophet were not about seizing territory, killing innocents, or shedding blood.

Islam is a religion of mercy and peace, and it came to guide people while not forcing them to enter its religion and abandoning other falsehoods and falsehoods.

The recommendations were:

Gradually singling out the issue of education regarding the various commands and prohibitions with independent studies, to demonstrate the wisdom of God In his legislation.

A careful study of the issues of fighting in Islam, differentiating between the jihad of defense and the jihad of aggression, and explaining the differences in the conditions of the mujahideen and their rulings on jihad at home and abroad.

Keywords:(Education – Companions – Time – War – The Qur'an).

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستهديه، ونؤمن به ونتوكل عليه ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فإن القرآن الكريم كلام الله المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو معجزة نبينا -ﷺ- تنزيل من حكيمٍ حميد، وهو البحر الزاخر بكل النفائس والمعجزات، جاء لينقذ البشرية كلها من التيه الذي عانت، ومازالت تعاني منه حتى يومنا هذا، ولن ينصلح لها حال إلا إذا استنارت بنوره وعاشت في ظل منهجه الكامل المتكامل، فقد أنزله الله كي يكون دستوراً للبشرية ومنهجاً لحياتنا.

إذ يقول الله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾(إبراهيم:١) هذه هي غاية القرآن الكريم العظمى أن يتعهد المسلم في كل حياته بكافة جوانبها، يرتقي به إلى درجات الإحسان في كل شيء.

إن الناظر إلى عالم اليوم يرى الكثير من الويلات حتى بات إنسان هذا العصر يعيش حالة من التيه والاغتراب ما بين سلام مزعوم قائم على المكر واستنزاف الآخر ومحاولة السيطرة عليه اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً وحروب ظالمة خلّفت وراءها ملايين القتلى والمشردين ومحو كامل لمعالم حضارية شيدها الإنسان على مدار الأزمنة والدهور وذلك بفعل الأسلحة الفتاكة التي قد تنسف مدينة بأكملها.

وإذا بحثت في أسباب ما نعيشه نجد أن البشرية تعيش في حالة من الأسر لمناهج بشرية فاشلة تعتمد على العنصرية بكافة أشكالها الدينية والعرقية والمادية البغيضة بكل ما تحمل من مظاهر الأنانية وحب الذات ورفض الآخر.

لقد بات العالم يتوق لمنهج يخلصه من هذه الحالة المتردية وذلك مما دعاني إلى أن أقدم هذا البحث الذي هو بعنوان: (التربية القرآنية للصحابة وقت الحرب) أبين من خلاله كيف قام المنهج القرآني بتربية جيل مثالي من البشر يعرف كيف يكون وقت الحرب متحلياً بالأخلاق الحسنة.

وأيًا كانت المصطلحات والتعريفات المختلفة لمفهوم التربية فإنها تعني صياغة المربي وفقا لمنهج محدد ومباشر للمربى، وهذا ما حققه المنهج القرآني العظيم؛ حيث إنه أعاد صياغة جيل من البشر، فتحولوا من رعاة غنم إلى سادة للأمم، وهؤلاء ما نطلق عليهم الصحابة الكرام، فتربوا على آدابه وأخلاقه وسلوكياته فأصبحوا أئمة يهتدى بهم في سلمهم، وحربهم على حد سواء، وبهذا الوحي استطاعوا تغيير واقعهم الذي يحيونه، فكانوا بهذا المنهج المارد المغير لكل أخلاق الجاهلية من حولهم؛ بل التي كانت في ذواتهم. ثم كانت الحروب والغزوات التي خاضها رسول الله -ﷺ-، والصحب الكرام -ﷺ-، فكانت التربية القرآنية على منهج القرآن الكريم تسير معهم في الحرب كما في السلم وكانت أخلاقيات المجاهدين الفاتحين هي المحرك الأول لنشر الإسلام في ربوع المعمورة.

وتكمن أهمية هذا الموضوع في الأمور الآتية:

١- تعلق موضوع البحث بالقرآن الكريم أشرف وأجل كتاب على وجه الأرض.

٢- إنه يمثل جانبًا تطبيقيًّا للون هام من ألوان التفسير الموضوعي.

٣- تعلقه بموضوع مهم وهو البناء التربوي القرآني للصحابة الكرام.

٤- توضيح شمولية المنهج القرآني لكل مناحي الحياة.

٥- لفت نظر الدارسين والباحثين إلى مواضيع جديدة تثري المسلم وتثقفه وتجعله قادرًا على الرد على الشبهات.

٦- يوضح الحقيقة القرآنية الثابتة، وهي أن المنهج القرآني صالح لإدارة الحياة في كل مناحيها دون التقيد بالزمان والمكان ، فهو مصلح لهما.

٧- إظهار كيف أسس المنهج القرآني جيلاً مثاليًا من الصحابة الكرام استطاعوا في عشرات السنين أن يغيروا خريطة العالم.

٨- بيان بطلان المناهج التربوية الدينية المحرفة التي انحرفت عن مسارها الصحيح.

٩- إبراز أصالة التربية الإسلامية لاعتمادها على المنهج القرآني الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

أسباب اختيار الموضوع:

تتلخص أسباب اختيار الموضوع في النقاط الآتية:

١- كمال القرآن العظيم وشموليته في كافة الموضوعات القديمة والمعاصرة والمستقبلية.

٢- بيان كيف صاغ القرآن الكريم الأمة بمنهج تربوي صحيح حقق لها الريادة والتفوق عكس تلك الحضارة الغربية البشرية التي تحاول هدم الآخر من خلال منهجها التربوي العنصري.

٣- الدفاع عن القرآن الكريم بإعتباره منهجاً كاملاً شاملاً يشكل الحجر الأساس في بناء الأمة.

٤- ربط التفسير القرآني بالواقع المعاصر، وإبراز رسالته في توضيح الخطاب القرآني.

٥- الدفاع عن هوية الأمة ومنهجها التربوي من هؤلاء الخونة مرتزقة العلم وأدعياء الثقافة.

المشكلة البحثية:

تكمن المشكلة البحثية لهذا الموضوع لوجود تصور لدى بعض الناس بأن الإسلام لم يهتم بالتربية إلا في حالة السلم فقط، وذلك لما يتعرض له أهله في حالة الحرب من مكر وبطش وتجبر بعيد عن الأخلاق والتربية.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى مجموعة من الأهداف، من أهمها:

١- بيان التأصيل القرآني لتربية الأمة، وكيف وضع القرآن الأسس الثابتة التي تضمن لها التميز والاستقلال والتفرد والوضوح والبقاء.

٢- عرض هذا الموضوع عرضاً متكاملاً يغطيه من كافة جوانبه.

٣- توضيح أن المنهج التربوي للأمة رباني المبنى والمنهج والغاية.

٤- بيان القصور المنهجي للمناهج البشرية في تناولها لمفهوم التربية وعدم حيادها.

٥- ابتغاء مرضاة الله، وهو أهم هدف وأسمى غاية أرجوها من كتابة هذا البحث.

الدراسات السابقة:

بعد الدراسة والتحري تبين للباحث أن هذا الموضوع من المواضيع التي لم يتطرق إليها الباحثون بالتصنيف، كما لم أعثر على رسالة علمية محكمة تناولت هذا الموضوع دراسة موضوعية محددة ومحكمة، وأن كل ما كُتب في هذا الموضوع ما هي إلا مقالات ومواضيع متناثرة لا تشكِّل بحثًا متكاملًا.

منهج البحث:

اعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي، وما يتبعه من عرض وتحليل وتقرير واستنباط، وذلك من خلال ما يلي:

١-جمع الآيات القرآنية التي اشتمل عليها البحث وكتابتها بالرسم العثماني.

٢- توزيع الآيات التي تم جمعها في مباحث البحث ومطالبه ما أمكن، وعزوها إلى سورها داخل المتن بجانب كل آية.

٣-عرض الآية ثم عرض تفسيرها من مصدر واحد أو عدة مصادر إذا لزم الأمر وكان ذلك في خدمة الموضوع، ثم بعد ذلك التحليل واستنباط النتائج من خلال التعليق.

٤- الاكتفاء بقول المفسر وعدم التدخل في حالة وضوح المعنى المقصود من البحث.

٥- الاعتماد الكامل على كتب التفسير القديمة والحديثة.

٦- الاستدلال بالأحاديث الشريفة، ومحاولة تخريجها، ونقل حكم العلماء عليها ما أمكن، وإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك.

٧- عرض آراء العلماء وأقوالهم المتعلقة بموضوع البحث من مصادرها الأصلية مع الحرص على الأمانة العلمية.

٨- عمل ترجمة للأعلام والأماكن التي وردت في البحث.

خطة البحث: يتكون هذا البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

المقدمة: وتشتمل على ما يلي: أهمية الموضوع، وأسباب اختيار الموضوع، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطة البحث.

المبحث الأول: حول مفهوم التربية القرآنية، ويشتمل على:

المطلب الأول: تعريف التربية لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: التربية في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: التربية بين المنهج القرآني والمناهج الأرضية.

المبحث الثاني: أصالة السلم في المنهج القرآني، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تنقية النفوس من عصبية القبيلة وحميتها .

المطلب الثاني: تصحيح الغاية .

المطلب الثالث: تأصيل السلم في النفوس .

المبحث الثالث: الغاية من القتال في المنهج القرآني. ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: منهج القرآن في تشريع القتال.

المطلب الثاني:الغاية من القتال في القرآن.

المبحث الرابع: رد الاعتداء وضوابطه في المنهج القرآني.

الخاتمة: وتشتمل على: النتائج والتوصيات.

الفهارس: وتشتمل على: فهرس المراجع- فهرس الموضوعات .

المبحث الأول

حول مفهوم التربية القرآنية

من المعلوم أن لكل دين منهجاً تربوياً يربي أتباعه عليه حتى يصبح واقعًا في حياتهم وتكون جميع سلوكياتهم وفق هذا المنهج، ولقد فاق الإسلام الأديان جميعها بنقائه وصفائه، وفاق كل المناهج بكماله وشموله.

ولقد تميز المنهج التربوي القرآني العظيم عن كل المناهج سواء كانت دينية أو بشرية بكماله الذي يلبي جميع حاجات الإنسان- سواء كانت حاجات مادية أو روحية، وفق منهج وسطي بعيد عن الغلو أو الإفراط والتفريط، وكيف لا وهو آخر خطابات السماء إلى الأرض، جاء ليسافر بالإنسان في رحلة عبر الزمان والمكان إلى الله تعالى ليصل به إلى جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

ولا شك أن جيل الصحابة هم سلف الأمة وجذرها وأصلها، وهم المعنيون الأُوَل بالخطاب القرآني؛ الذين عاينوه غضا طريا وسمعوه من رسول الله- ﷺ- فلامس أرواحهم قبل قلوبهم، وعانق مهج القلوب، وخالط الفطرة قبل الأجساد، وصار يجري مع الدم في العروق؛ فكان أثره على الجوارح والسلوك في السكنات والحركات.

وقبل مناقشة هذا العنوان لابد من مناقشة مصطلح التربية.

المطلب الأول

تعريف التربية لغة واصطلاحًا

التربية في اللغة: كلمة "تربية" من حيث مدلولها اللغوي تنتمي إلى الجذر الثلاثي "رَ بَ وَ" والفعل منه "ربى" وهو في جميع تصاريفه يدل على معاني النمو والزيادة، يقول الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾(الروم: ٣٩) أي ليزيد في أموال الناس فإنه لا يزيد عند الله.[١]

وسُمي الربا ربا: لما فيه من الزيادة على رأس المال. يقول الله تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ (البقرة: ٢٧٦)، أي: ينمي الصدقات ويزيدها بمضاعفة أجرها، الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف، كما ورد في الحديث الصحيح.[٢]

والربّ في اللغة: المالك والسيد والمُدِّبر والمُربيِّ والقيِّم والمُنعم. ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى، وإذا أُطلق على غيره فيقال: رَبٌّ كذا.

والرباني هو: منسوب إلى الربّ بزيادة الألف والنون للمبالغة، وقيل هو من الرَّب بمعنى التربية.

وقيل للعلماء: ربانيون؛ لأنهم يربُّون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها، والرَّبَّانيُّ: العَالمُ الراسخُ في العلمِ والدِّين. أو الذي يطلبُ بعلمه وجه الله .[٣]

"والربوبية التي لله شاملة لكافة المجالات التي يكون بها المؤمن مؤمناً يترقى في الإيمان، ليكون من المخلصين الصدِّيقين المجاهدين في سبيل إعلاء دينه وكلمته. وغاية الربوبية تعليمية، تربوية، اجتماعية، سياسية، اقتصادية، فكرية، عقلية، نفسية،

---

(١)خصائص في غريب الأثر، ابن الأثير، باب الراء مع الباء ص٤٥٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ،كتاب الزكاة ، بَابُ قَبُولِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْكَسْبِ الطَّيِّبِ وَتَرْبِيَتِهَا ،بسنده عن سعيد بن يسار أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله – ﷺ–: (ما تصدق أحد بصدقة من طيب ــ ولا يقبل الله إلا الطيب ــ إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل، كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله)حديث: ١٠١٤-٧٠٢/٢.

(٣)خصائص في غريب الأثر– باب الراء مع الباء ص ٤٥٠.

روحية، تتوخى إصلاح البدن، والقلب، والنفس، والروح، والبيت، والشارع، والمصنع، والحقل، والمجتمع، والدولة، والعالم بأسره، ويتهيأ بها الإنسان ليكون جديراً بخلافة الله في الأرض. واسم الربِّ فيه تربية الخُلُق؛ فهو مُربِّي نفوس العابدين بالتأييد، ومربّي قلوب الطالبين بالتسديد، ومربِّي الأبدانِ بوجود النعم، ومربِّي الأرواح بشهودِ الكَرم ".[١]

وتستعمل كلمة التربية بمعنى التهذيب وعلو المنزلة، وقد ذكر ذلك الزمخشريُّ، فقال: "ومن المجاز: فلان في رَبَاوة قومه: في أشرفهم".[٢]

أما المعنى الاصطلاحي للتربية:

فقد اختلف باختلاف المعرفين له وانتماءاتهم الفلسفية والفكرية:

فالتربية تعني: إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام.[٣]

والتربية تعني: " تغذية الجسم وتربيته بما يحتاج إليه من مأكل ومشرب ليشّب قوياً معافى قادراً على مواجهة تكاليف الحياة ومشقاتها. فتغذية الإنسان والوصول به إلى حد الكمال هو معنى التربية، ويقصد بهذا المفهوم كلّ ما يُغذي في الإنسان جسماً وعقلاً وروحاً وإحساساً ووجداناً وعاطفة".[٤]

والتربية تعني: الرعاية والعناية في مراحل العمر الأدنى، سواء كانت هذه العناية موجهة إلى الجانب الجسمي أم موجهة إلى الجانب الخُلقي الذي يتمثل في إكساب الطفل أساسيات قواعد السلوك ومعايير الجماعة التي ينتمي إليها".[٥]

---

(١)تجلِّيات في أسماء الله الحُسنى، عبد المنعم الحنفي : ص٤٩.

(٢)أساس البلاغة للزمخشري: كتاب الراء، مادة: ربو ص ١٥٨ .

(٣)التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي: باب التاء، فصل الراء، ص ١٦٩.

(٤)أصول الفكر التربوي في الإسلام، عباس محجوب: ص ١٥.

(٥)الأهداف التربوية للعبادات في الإسلام، محمد حسين أحمد، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التربية، كلية التربية، جامعة طنطا، قسم أول التربية، غير منشورة: ص ١٤.

ومن معاني التربية أيضًا: الإصلاح والتهذيب؛ ... فللتربية دورها الرائد، وأثرها العميق في توجيه ميول الطفل، وربطه بالأخلاق الحميدة، والعلاقات الإنسانية الراقية، وكبح جماح الشهوات، ورفع القوى نحو الخير والصواب".[1]

ولابد من أن ترتبط التربية بمفهوم التدريج، وذلك أن التثقيف يخضع لمراحل عديدة، وكميات متباينة من المعلومات، وكل مرحلة يمرُّ بها الطفل تحتاج إلى رعايةٍ خاصة، ومعرفة بقدرات الطفل، ومدى استيعابه للعلم والتربية، فهذا يتطلب دقة في التنظيم، والضوابط، والمهارات في تلقين الطفل ما يحتاج إليه، وجعله عنصراً فاعلاً لا منفعلاً، وذلك بإثارة تفكيره، والعناية بروحه، وتحقيق حاجاته العلمية والنفسية وغيرها".[2]

ومفهوم التربية هو من شاكلة السهل الممتنع، لذا نجد معاجم اللغة وأدبيات التربية تفيض بتعاريف كثيرة ومتعددة، ترجع في الأصل إلى دلالات ومعاني عدة في اللغة، ومنها:

١- النماء والتعاهد والزيادة: ربّ الولد- ربّا وليه؛ أي: (تعهده بما يغذيه وينميه ويؤدبه)، كذلك (ربا الشيء يربو ربوا ورباءً: زاد ونما).

٢-التنشئة: نَشأَ، يـَنَشأُ، نَشأً ونُشوءاً ونَشاءً: رَبا وَشّب. ونشأت في بني فلان نَشأً ونشوءًا: شَبَبتُ فيهم.

٣-الإصلاح: ربّ: إصلاح الشيء والقيام عليه. ورب الشيء إذا أصلحه والإصلاح: نقيض الإفساد... وأصلح الشيء بعد فساده: أقامه.

٤-التعليم والتلقين: جاء في لسان العرب: "الرباني العالم المعلّم؛ الذي يغذوا الناس بصغار العلم قبل كبارها: هو من ربّ؛ بمعنى التربية، كانوا يربون المتعلمين بصغار العلوم، قبل كبارها.

٥-الرعاية: لك نعمة تَـُربـّها، أي تحفظها وتراعيها وتربيها، كما يربي الرجل ولده.

٦-الأدب: الذي يتأدب به الأديب من الناس، سمي أدبًا؛ لأنه يؤدب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح.

([1])تربية الأطفال في ضوء القرآن والسنة، يوسف بديوي، محمد محمد قاروط: ١/ ١٤.

([2])المرجع السابق: ١/ ١٦.

٧-التهذيب: كالتنقية، هّذب الشيء يهذبه هذبا وهذبه نقاه وأخلصه وقيل أصلحه.

٨-التّطّهر: التنزه والكف عن الإثم وما لا يجمل.

٩-التكفيل: قال الله في كتابه العزيز: ﴿ ۞وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ ﴾ (القصص: ١٢)[١]

لقد جاء في "التفسير الميسر" في تأويل هذه الآية "وحرمنا على موسى المراضع أن يرتضع منهن من قبل أن نرده إلى أمه، فقالت أخته هل أدلكم على أهل بيت يحسنون تربيته وإرضاعه، وهم مشفقون عليه؟ فأجابوها إلى ذلك".[٢]

---

(١)تربية الأطفال في ضوء القرآن والسنة ١/ ١٤

(٢)التفسير الميسر : ٣٨٦/٢٠

المطلب الثاني

التربية في القرآن الكريم

جاء لفظ التربية بالمعني المقصود في موضعين: الأول: يقول الله تعالى على لسان فرعون مخاطبًا موسى -عليه السلام-: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ (الشعراء١٨)

يقول ابن كثيرفي تفسيره: ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين، أي: أما أنت الذي ربيناه فينا، وفي بيتنا وعلى فراشنا وغذيناه، وأنعمنا عليه مدة من السنين. (١)

ويقول الله تعالى أيضاً: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ (الإسراء ٢٤) يقول القرطبي في تفسيره: "ثم أمر تعالى عباده بالترحم على آبائهم والدعاء لهم، وأن ترحمهما كما رحماك وترفق بهما كما رفقا بك، إذ ولياك صغيراً جاهلاً محتاجًا فآثراك على أنفسهما، وأسهرا ليلهما، وجاعا وأشبعاك، وتعريا وكسواك، فلا تجزيهما إلا أن يبلغا من الكبر الحد الذي كنت فيه من الصغر، فتلا منهما ما وليا منك، ويكون لهما حينئذ فضل التقدم".(٢)

يستفاد من ذلك أن التربية هي:

تلك العملية الإنسانية (ذاتية أو غيرية) التي تسهر على تنشئة الفرد تدريجيا في جميع مناحيه وجوانبه كالجانب الجسدي والفكري الروحي، والاجتماعي والمهني، فالتربية هي نماء وتعهد وتنشئة وإصلاح وتعليم ورعاية وتطهر وتهذيب وتأديب.

وهي أيضًا كل ما يغير صفات الإنسان أو ما ينتج عن هذا التحول مقصوداً كان أم غير مقصود، ويتخذ هذا المصطلح خصوصياته حسب المجالات (العلوم، الفنون، الدين).

المنهج القرآني وكيف تكلم عن التربية:

---

(١)تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٣٧/٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٠/ ٢٤٤.

عند تناول المنهج القرآني في التربية يكون مقصد الباحث المسار القرآني الذي سلكه القرآن العظيم في تشكيل صحابة النبي -ﷺ- وصاغهم صياغة كاملة متكاملة شاملة حتى أصبحوا نسخًا حية من القرآن تمشي على الأرض؛ مما كان له أكبر الأثر في إعادة رسم خريطة جديدة للعالم، وهذا ما نطلق عليه في عالمنا اليوم التربية الكاملة، وهي تلك التي تشمل مختلف أبعاد الإنسان، إذ تسهر على: "تنمية شخصية الإنسان بجميع جوانبها الدينية والروحية والخلقية والعقلية والجسدية والنفسية والاجتماعية وأيضا شملت كل أحواله حيث كانت المؤثر الأوحد له في سلمه وحربه بل في جميع أحواله.

ففي مرحلة السلم: نرى كيف هذب القرآن نفوس الصحابة وحقق فيهم أهداف التربية ومواضيعها السبعة وهي: التربية العقدية، والتربية الخُلقية، والتربية الجسمية، والتربية العقلية، والتربية النفسية، والتربية الاجتماعية، والتربية الجنسية فأصبحوا أمثلة يحتذى بها في مشارق الأرض ومغاربها وقد مدحهم الله في كتابه فقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾(الفتح:٢٩) وأعلت السنة من شأنهم وحذرت من عداوتهم وفي ذلك يقول فيهم رسول الله – ﷺ- : (اللهَ اللهَ في أصحابي لا تتَّخذوا أصحابي غَرَضًا مَن أحَبَّهم فبِحُبِّي أحَبَّهم ومَن أبغَضهم فببُغْضي أبغَضهم ومَن آذاهم فقد آذاني ومَن آذاني فقد آذى اللهَ ومَن آذى اللهَ يوشِكُ أنْ يأخُذَه).[1]

وفي مرحلة الحرب: فقد غرس القرآن فيهم صفات وأخلاقًا وسلوكيات ما عرفتها البشرية من قبل على مر العصور مثل الوفاء بالعهد الصدق في المعاملة، ونهى عن الفجور في الخصومة. ومما يحفظ التاريخ لرسول الله –ﷺ- قوله لجيشه: (انطلقوا بسمِ

([1])صحيح ابن حبان ، باب فضل الصحابة والتابعين رضي الله تعالى عَنْهُمْ ، باب ذكر الزجر عن اتخاذ أصحاب رسول الله، حديث رقم: (٧٢٥٦)، ١٦/ ٢٤٤، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف.

اللَّه وباللَّه وعلى ملِّةِ رسولِ اللهِ لا تقتلوا شيخًا فانيًا ولا طفلًا صغيرًا ولا امرأةً ولا تغلُّوا وضمُّوا غنائمَكم وأصلحوا وأحسنوا فإنَّ اللَّهَ يحبُّ المحسنينَ). [1]

المطلب الثالث

التربية بين المنهج القرآني والمناهج الأرضية

- **فطرة التربية في تكوين الفرد:**

عندما خلق الله تعالى البشر ثم استخلفهم في الأرض نجد أنه قد سهل لهم سبل الاكتشاف ووسائل التطوير، وسخر لهم في سبيل ذلك ما في الأرض جميعًا منه منحة وهبة وحجة، ولو لاحظنا طبيعة التكوين البشري نجد أنه مجزأ إلى قسمين قسم مادي يتطلع إلى إشباع رغباته المادية، وقسم يسمو بالإنسان إلى التسامي والترفع عن مشتهيات الجسم، وقد خلق الله تعالى للإنسان ميزانًا لضبط هذا النزاع وهو ميزان العقل ،وبه تميز عن بقية المخلوقات و تفوق عليها .

وعن طريق الوعي بإمكانيات هذا العقل و الذي أوجده الله تعالى داخل الإنسان عمل على ملاحظة الظواهر الطبيعية المحيطة بـــه، وقام بتفســـيرها للإفادة منها، ونتيجة لذلك دخل في خبرات وتجارب مختلفة تفاعل معها وأحدثت تغيراً في سلوكه ومعتقداته، ومن ثَم قام بنقل نتائجها إلى غيره، ويســـمي هذا التفاعل المستمر والنشـــط بين الإنسان وبيئته بالتربية بغض النظر عن كون هذه النتائج صحيحة أو خاطئة، ومن المُسلم به أن الاعتماد على ذات الإنسان كمصدر لتحديد القيم والمفاهيم اعتماد غير منضبط يحتاج إلى تدخل إلهي يعيد تقويم الميزان كلما انحنى أو مال .

- **فطرة التربية في تكوين المجتمع:**

خلق الله في فطرة الإنسان التواجد في مجتمعات، وعدم الاكتفاء بالذات المنفردة، بل العيش وسط مجموعة يتفاعل معها وتتفاعل معه.

([1])مصنف ابن أبي شيبة، كتاب السير، مَنْ يُنْهَى عَنْ قَتْلِهِ فِي دَارِ الْحَرْبِ ،حديث: ٣٣١١٨ – ٦/ ٤٨٣.

وفي كل مجتمع من هذه المجتمعات كان لابد من وضع أهداف عليا يسعى إليها الجميع–وهي ما تستهدف الخير للفرد والمجتمع. وأهداف سفلى وهي ما تؤذي الفرد أو المجتمع، لابد من الابتعاد عنها وفرض العقوبة لمن يقترفها.

وقد وجد التفاوت في نسبية الخير والشر على اختلاف الحضارات، وفي مسميات العقوبات، والجوائز، ولكن اتفق في جميع المراحل على وجود نصاب من الخير يسعى إليه الجميع، وتذلل في سبيله العقبات، ويكافئ من يصل إليه بأعلى الدرجات الاجتماعية، ونصاب من الشر لابد لمن يصيبه العقاب.

ونشير إلى أمثلة مقتبسة من تاريخ البشرية توضح العمق البين بين الحضارات البشرية في اهتماماتها التربوية، والتي نشأت من الاختلاف في القيم التي أرادت أنشاء شعوبها عليها فمثلًا :"اهتمت اسبرطة –وهي مدينة إغريقية كان لها شأن في الماضي البعيد – بتأكيد فضائل النفس والطاعة والتضحية والتحمل والشجاعة ..وكل ذلك مغلف في رداء عسكري صارم أراده ساستها وفرضوه على مواطني اسبرطة، في حين نجد في مجتمع آخر تنحسر النزعة الدينية وتخلى المجال للعناصر الخلقية والفنية كما كان الحال في بلاد فارس القديمة، وفي غيرها من بعض المجتمعات الآسيوية نجد أن الصين القديمة سلطت الأضواء على المحتوى الإنساني في الثقافة، كما أن الهند الإبراهيمية مجدت القيم الدينية والفلسفية ،وفي مصر الفرعونية صار الاهتمام إلى القيم الدينية والمهنية ..."(١).

إذا في كل مجتمع توجد مجموعة من الآراء والأفكار والنظريات الصائبة من وجهة نظر فلاسفة وعلماء وأصحاب الرأي لذلك المجتمع، ويقوم هؤلاء بتقعيدها وحث الناس على التمسك بها أو الابتعاد عنها، وهذا هو ما يعرف بتربية المجتمع، فالتربية توجد في مجتمع معين له ثقافته وفكره الذي يوجه حياته، هذه الحياة التي نحكمها بمجموعة من القواعد والمعاير التي هي جزء من ثقافة المجتمع التي يعبر عنها.

والفكر التربوي يتأثر بدرجة كبيرة بأبعاد المجتمع الديني،و الثقافي، والحضاري، والاقتصادي ،ولهذا فإن أي فكر تربوي إنما يعبر عن وجهة نظر اجتماعية أو بعبارة أخرى يكون هذا الفكر انعكاساً لفكر المجتمع .

- **الفطرة في الرابط بين الفرد والمجتمع:**

---

(١) تطور الفكر التربوي ،الدكتور سعد مرسي أحمد ص٢٨

فطن البشر بعد مراحل من التاريخ أن من المهم أولا تربية الفرد ومن ثم تربية المجتمع "يقول لينتون: (١)"إن فهم الدور المزدوج للفرد كفرد وكوحدة في مجتمع، سوف يعطينا مفتاحاً الحل لمشكلة السلوك البشري".(٢)

إذاً التربية ضرورة فطرية للفرد والمجتمع على حد سواء، فكل مجتمع يحتاج إلى حث النفوس وشحذ العقول نحو أهداف محددة كما أسلفنا لدفع المجتمع لاعتناق هذه الأفكار ومن ثم العمل على تحقيقها لبناء الأرض التي قد استخلف فيها .

ومما لا شك فيه أن هذه الآراء والأفكار والأهداف كلما كانت مستقاة من الكتب الإلهية الصحيحة غير المحرفة على مدار التاريخ البشري تكون التربية لذلك المجتمع أقوم، وبالتالي الوصول إلى بناء مجتمع متوازن ،يحقق الاستقرار لأفراده كان أكثر توكيد وأقرب ،ولو نظرنا حولنا لوجدنا أن أفضل مجتمع حقق التقدم في جميع الميادين ووفر للنفوس البشرية المساعدة المرجوة هو المجتمع الذي بني في عهد النبي -ﷺ-، ثم المجتمع الذي تلاه والذي تلاه ...وليست الأفضلية في مجال الدين فقط بل تعددت أوجه الخيرية، فكل علوم اليوم انبثقت من تلك القرون التي حفظت القرآن الكريم والسنة المطهرة وعملت بهما، إنه أفضل مجتمع حقق التوازن الديني والعلمي والسياسي ....

فالدولة الإسلامية قد عاشت أزهى فتراتها في وقت خَيم فيه ظلام العصور الوسطى على الغرب، وإذا كانت هذه الفترة من الظلام قد ميزت القرون الخمسة الأولى من العصور الوسطى في الغرب فإن شمس الحضارة كانت تشرق عالية في الشرق، بل إن النهضة الأوربية التي بدأت في النصف الثاني من القرون الوسطى قد اعتمدت في غذائها الثقافي والفكري على نتاج الثقافة العربية والإسلامية إبان عصرها الذهبي، وما ذلك إلا لأن النفوس المسلمة في تلك الحقبة الذهبية قد تربت على ما جاء في القرآن من مبادئ وأهداف واضحة الطريقة والنتيجة.

---

(١) جاء في موسوعة الجياش، لينتون رالْف عالم أمريكي متخصص في علم الإنسان طوّر مفهوم المرتبة ومفهوم الوظيفة، وهما من المفاهيم التي يستعملها كثير من علماء الاجتماع.، ولد لينتون في فيلادلفيا، وفي أثناء دراسته للدكتوراه في جامعة هارفارد، قام بأبحاث في آثار بولينيزيا. وفي الفترة بين عامي ١٩٢٥م و١٩٢٧م عاش في مدغشقر ودرس ثقافة المنطقة، ثم التحق فيما بعد بهيئة التدريس بجامعة وسكنسن، وجامعتي كولومبيا، وييل.

(٢) تطور الفكر التربوي: ص٣٣

ويمكن إثبات ذلك بسهولة بالنظر في التربية التي توافرت في المجتمعات القديمة والحديثة على مدار التاريخ البشري والتي سعت جاهدة لتحقيق الأفضلية في تربية الفرد والمجتمع.

المبحث الثاني

أصالة السلم في المنهج القرآني

بين يدي المبحث:

عاش العربي حياة بدائية بسيطة، كل ما يملكه بضع رؤوس من الأغنام يتنقل من وادٍ إلى واد، بحثا عن الماء والكلأ، وكان كل همه في الحياة حماية نفسه وأهله وقطيعه.

ولذلك عاش في جماعات منظمة تحترف الزراعة والرعي والصيد، هذه الجماعات تُسمى قبائل وفي مجتمع القبائل كان البقاء للأقوى، حيث دارت معظم الحروب حول الماء والمرعى وأيضا كانت هناك حروب تقام على أتفه الأسباب، ومن هنا كان لابد من إعادة صياغة هذه النفسية العدوانية بطبعها، فلابد من:

المرحلة الأولى: تهذيب النفس وتنقيتها من تلك العصبية القائمة على العدوان.

المرحلة الثانية: كان لابد من ضبط الغاية من القتال .

المرحلة الثالثة: كان لابد أن يعلموا أن السلام بين الناس هو الأصل، والحرب مجرد استثناء.

المطلب الأول:

تنقية النفوس من عصبية الجاهلية وحميتها:

ساد النظام القبلي في الجاهلية عصبية الدم، وقد ولّد هذا النظام العداء بين القبائل، وظهرت فكرة النصرة لبعضهم؛ سواء كانوا ظالمين أو مظلومين، وانتشر الثأر، ولم تكن هناك أي منظومة تنظم علاقات الأفراد ببعضهم البعض، فكانت أسباب الحرب في الجاهلية؛ إما بسبب التنافس على أماكن الرعي، أو للسرقة والنهب، أو للحفاظ على موارد الماء.

فقد كانت أرزقاهم مرتبطة بسيوفهم ورماحهم، ومعاشهم في أيدي غيرهم، فمن يدفعهم عمّا يمتلك شنوا عليه الحرب، وكانت الحرب في الجاهلية ما إن بدأت حتى تمتد إلى أن يتم القضاء على القبيلة الخاسرة ومن ثم وجدنا أن انتهاك الحرمات كان شيئا عاديا وكان القتل والاقتتال يحدث لأتفه الأسباب.

من هنا كان لابد من برنامج تهذيبي يرتقي بهذه النفس ليعيدها إلى سيرتها الأولى وفطرتها النقية التي فطرها الله عليها.

وقد تمثلت خطوات هذا البرنامج التهذيبي القرآني العظيم فيما يلي:

أولا: ترسيخ مبدأ الأخوة الإنسانية:

حينما يتربى المسلم على هذا النداء الرباني العظيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ (الحجرات: ١٣) فإنه يتربى على قيم عظيمة تتلخص فيما يلي:

١- أن كل الناس مهما اختلفت أجناسهم وألوانهم، ومهما تفرقت شعوبهم وقبائلهم؛ فإنهم يرجعون إلى أصل واحد وعليه فلِمَ الاختلاف والشقاق ولِمَ التفرق والخصام.

٢- أن الناس جميعاً هم عبيد لخالقهم وليس لأحد غيره فهو الذي خلقهم من ذكر وأنثى. ومن هنا ليس من حق أحد كائنا من كان أن يتحكم في أقدار الناس وأرواحهم أو يستهين بحياتهم.

٣- أن الغاية من جعلكم شعوبا وقبائل. إنها ليست التناحر والخصام؛ إنما هي التعارف والوئام. فأما اختلاف الألسنة والألوان، واختلاف الطباع والأخلاق، واختلاف المواهب

والاستعدادات؛ فتنوع لا يقتضي النزاع والشقاق، بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات.

٤- أنه يوجد ميزان واحد للتفاضل بين الخلق، وهو بيدي الخالق العليم بعباده، الكريم حقا هو الكريم عند الله. وهو يزنكم عن علم وعن خبرة بالقيم والموازين.

وبهذا الميزان الرباني تسقط جميع الفوارق، وتسقط جميع القيم، ويرتفع ميزان واحد بقيمة واحدة، وإلى هذا الميزان يتحاكم البشر، وإلى هذه القيمة يرجع اختلاف البشر في الميزان.

ثانيا: ترسيخ مبدأ حرمة النفس البشرية.

بعد أن تقررت حقيقة وحدة النشأة البشرية؛ كان لابد من التأكيد على حرمة النفس البشرية؛ فحق الحياة مكفول للجميع، وليس من حق أحد التدخل وإنهاء حياة أحد بغير حق، يقول تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾(المائدة : ٣٢)

في هذه الآية يبين ربنا -سبحانه وتعالى- ضرورة حماية النفس والحياة في المجتمع الإسلامي المحكوم بشرع الله ، وصيانته من الخروج على قوانينه ، وعدم الاعتداء على أحد أيًا من كان ، وحماية نفسه ، وماله، وممتلكاته ، طالما أن المجتمع الذي يعيش فيه يقوم نظامه الاجتماعي كله على شريعة الله.

فمسألة الاعتداء على المسالمين الوادعين الذين لا يريدون شراً ولم يقترفوا إثمًا تمثل عدوانًا على المجتمع بأسره، وتهديدًا لأمنه وأمانه؛ وعلى إثر ذلك لابد من أخذ كل التدابير ضد من يعتدي عليها ولم ينفع معها الموعظة والتحذير؛ وذلك لأن نفوسها طبعت على الشر والفساد.

من أجل ذلك جعل الله -ﷻ- جريمة قتل النفس الواحدة كبيرة، تعدل جريمة قتل الناس جميعاً؛ وجعل العمل على دفع القتل واستحياء نفس واحدة عملاً عظيماً يعدل إنقاذ الناس جميعاً.

يستفاد من ذلك كله ما يلي:

- إن قتل النفس الواحدة - في غير قصاص ، وفي غير دفع فساد في الأرض - يعدل قتل الناس جميعاً؛ لأن كل النفوس متساوية.

- أن حق الحياة واحد ثابت لكل نفس؛ فقتل واحدة من هذه النفوس هو اعتداء على حق الحياة ذاته؛ الحق الذي تشترك فيه كل النفوس.

كذلك دفع القتل عن النفس، واستحياؤها بهذا الدفع - سواء كان بالدفاع عنها في حالة حياتها أو بالقصاص لها في حالة قتلها لمنع وقوع القتل على أي نفس مظلومة أخرى هو استحياء لكافة النفوس لأنه صيانة لحق الحياة الذي تشترك فيه النفوس جميعًا.

المطلب الثاني

تصحيح الغـاية

لقد عاش العربي حياته كمحارب يعتز بفروسيته وشجاعته وانتصاراته التي حققها وكان يكتب الشعر ويسجل فيه ذلك؛ لكن حينما ننظر إلى هذه الحروب وآثارها نجد أنها كانت نصراً لقبيلته وتعزيزاً لقوتها. نعم لم تكن لها غاية كبرى؛ بل كان نصراً ملوثًا بالظلم والاعتداء والقهر، ولم يكن فيها من الحق إلا القليل.

كانت الحرب حمية للدم والقبيلة، ولم يكن لها غاية سامية تحققها، فلما جاء الإسلام كان لابد أولًا من تصحيح الغاية وإعادة صياغة النفس وفقا لهذه الغاية الجديدة، فكان لابد من تأهيل النفوس أولًا:

لو أمعنا النظر في الحيوان لوجدناه يعيش في حدود ما تدركه الحواس فحسب، وعالمه محصور في ذلك النطاق؛ ولذا تجده يتصرف بموجب ما تمليه عليه هذه الحواس.

لكن الله كرم الإنسان فلم يحصره في حدود ما تدركه حواسه فحسب؛ وإنما فسح آفاقه ووسعها، ومنحه تلك الخاصية، وهي القدرة على الإيمان بما لا تدركه الحواس، فأصبحت نفسه أرحب وأعمق من الحيوان، وأصبحت آفاقه أوسع وأعلى.

ولكن الجاهلية دأبت على تلويث فطرة الإنسان حتى يكون كالحيوانات محصوراً في نطاق ما تدركه حواسه فحسب ، تريد أن تنزع عنه تلك الكرامة التي كرمه الله بها، وتلغي من عالمه عالم الغيب كله، بحجة الواقعية والروح العلمية، ومن ثم تنتكس بالإنسان روحياً ونفسياً وخلقياً، وتفقده إنسانيته في النهاية.

ومن هنا عمد المنهج القرآني إلى إعادة هذه النفس التي لوثها هذا الفكر الجاهلي ورباه على العدوانية المتحفزة للقتال في أي لحظة إلى رشدها وهذ الأمر ليس بالأمر الهين إنه في غاية الصعوبة؛ إذ كيف سينضبط هذا البدوي الجلف الذي ينام وعينه على سيفه لأنه، يعلم أن أمانه في ظل سيفه وقوته ولا شيء غيرهما. فإذا أردت تغيره فلابد أن تصرفه إلى قوة يستند عليها ويتيقن بجدواها حينها سيعود إلى فطرته المسالمة التي فطره الله عليها لقد تمثلت هذه القوة في الإيمان بالله ربًا ومعبوداً ومالكًا ومتصرفًا وأن هناك يومًا للحساب والقصاص وأن هذا اليوم آت لا محالة إنها العقيدة التي سيكون

لها جندياً مخلصاً ويفتح بها أرجاء الدنيا. لقد امتدت هذه التربية فترة ثلاثة عشر عاماً أطلق عليها فيما بعد بالفترة المكية.

والمنهج القرآني حتى يكون فاعلاً، حقيقياً في هذه النفس؛ فإنه لابد له من تربيتها على عناصر ثلاثة هي: العقيدة ،والدولة ، والجهاد. فالعقيدة هي القاعدة الصلبة التي ستحل مكان العصبية الجاهلية، والدولة هي التي ستحل مكان القبيلة ونطاقها الضيق المحدود، أما الجهاد فسيكون مكان البغي والعدوان.

وإذا غاب واحد أو أكثر من هذه العناصر الثلاثة فإن المنظومة ستفقد حيويتها في الواقع، وربما تتحول إلى مجرد عبادات وطقوس وشعائر.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ (البقرة ٢١٨)، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ٢٠﴾ (التوبة ٢٠).

ففي هذه الآيات الكريمات قرن سبحانه وتعالى بين العقيدة والدولة والجهاد بشكل واضح، وبين مواصفات المسلمين بأنهم ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ عقيدة ﴿ وَهَاجَرُواْ﴾ (دولة) ﴿ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ ﴾.

لذلك فمسيرة القرآن في منهجه التربوي في هذه الفترة لابد لها من الأخذ بعين الاعتبار هذه العناصر الثلاثة، والتي لا تكفي فيها مجرد الرغبة والحماسة والعواطف والتفاؤل، ولكنها تحتاج لمن ينحت في صخر أحياناً، كما تحتاج إلى قوة الفكرة مقرونة بطريقتها لتتحول من فكرة في الذهن إلى وجود في المجتمع، ومن حركة شعبية إلى دولة ودار[1]. واقتفاء أثر الرسول -ﷺ- في مكة هو جزء من الاتباع والتأسي، قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ٣١﴾ (آل عمران: ٣١)، وقال: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ

---

(١) السيرة النوية في العهد المكي- طريقة ومنهاجاً: أبو حمزة الخطيب، مجلة الوعي: العدد ٢١٦، السنة ١٩، محرم ١٤٢٦هـ، فبراير ٢٠٠٥م.

ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴿٧﴾ (الحشر: ٧)، وقال: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴿٢١﴾ (الأحزاب ٢١).

فوجوب الاتباع والتأسي في هذه الفترة "لابد أن يطبق بصرامة حتى تتخلص هذه النفس من الجاهلية، وعندما نلاحظ أفعال الرسول وأقواله -ﷺ- في مكة نجدها طريقة ومنهاجاً بمراحل قطعية في دلالتها، وقطعية في ثبوتها".[1]

وأهم ما حدث هو تغير الثقافة العقائدية التي جعلها -ﷺ-أساساً في بناء الشخصيات التي أقبلت على الإسلام، وتكتلت حول الرسول -ﷺ-، ولوحظ على هذه الثقافة أنها كانت ثقافة عقائدية، سياسية، عملية، وليست ثقافة فلسفية، أو كهنوتية.

قال تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴿٣﴾ (الروم: ٢ــ٣).

لم يكونوا يهتمون فقط بواقع مكة وما حولها، بل كانوا يهتمون أيضاً بالروم والفرس، أي يهتمون بالشؤون الدولية، وهم بعد في بطن مكة لا حول لهم ولا قوة.[2]

وهكذا فإن المرحلة الأولى في سيرة الرسول -ﷺ- في مكة، واستمرت هذه المرحلة في زمانه ثلاث سنوات، غلب عليها الناحية السرية في التنظيم، والناحية العلنية في الفكرة، وكانت العقيدة هي الأساس في بناء الشخصيات كل هذا مع الأمر الصارم بعدم القتال حتى لو تعرضوا للاعتداء.

قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا﴿٧٧﴾ (النساء: ٧٧).

---

(1) المرجع السابق.

(2)السيرة النوية في العهد المكي- طريقة ومنهاجًا: أبو حمزة الخطيب، مجلة الوعي: العدد ٢١٦، السنة ١٩، محرم ١٤٢٦هـ، فبراير ٢٠٠٥م.

يقول ابن كثير: "كان المؤمنون في ابتداء الإسلام -وهم بمكة- مأمورين بالصلاة والزكاة وإن لم تكن ذات النُصب؛ لكن كانوا مأمورين بمواساة الفقراء منهم، وكانوا مأمورين بالصفح والعفو عن المشركين والصبر إلى حين، وكانوا يتحرقون ويودون لو أمروا بالقتال ليشتفوا من أعدائهم، ولم يكن الحال إذ ذاك مناسبا لأسباب كثيرة، منها: قلة عددهم بالنسبة إلى كثرة عدد عدوهم، ومنها كونهم كانوا في بلدهم وهو بلد حرام وأشرف بقاع الأرض، فلم يكن الأمر بالقتال فيه ابتداء لائقا..."[1]

يستفاد من ذلك كله ما يلي:

١-العناية القصوى بالتأسيس والتكوين، والتركيز على العقيدة الخالصة لله تعالى، ونبذ الشرك بكل أشكاله، وإدخال أناس في الدين الجديد على أساس التوحيد الخالص.

٢-بذل الجهود المتاحة لتقوية إيمان المؤمنين الجدد، وتربيتهم على القيم السامية، وعلى الصبر والثبات، وتعليمهم دينهم والأحكام التي نزلت، والتي تنزل تترى .

٣-مقاومة حجج المشركين ودحضها بالبراهين الباهرات والبينات الظاهرات من خلال أسلوب هادئ هادف مؤثر.

٤-مراعاة فقه الأولويات حيث كان التركيز على العقيدة الصحيحة، وبخاصة التوحيد الخالص، ومحاربة الشرك بجميع صنوفه، وعلى القيم الأخلاقية، وعلى التزكية والتربية الشاملة.

٥-مراعاة سنة التدرج في جميع جوانبه من حيث نزول الأحكام حيث نزلت بالتدرج خلال الفترة المكية، ومن حيث السرية، ثم الجهرية، ومن حيث خطوات الدعوة، ومن حيث البدء بمواجهة المشركين بالبيان، والصبر، وبحجج القرآن، قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾ (الفرقان: ٥٢).

٦- حماية المسلمين الجدد من خلال منعهم من المواجهة واستعمال القوة، ومنع المواجهة بالقوة، فقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ (النساء: ٧٧).

([1])تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٢/ ٣٥٩.

٧- المحاولة المستمرة للتوسع في دائرة الدعوة، حيث لم يكتفِ الرسول -ﷺ-بدعوة أهل مكة، بل ذهب إلى الطائف، وما حولها، وعرض دعوته على القبائل والوفود العربية القادمة إلى مكة لأي سبب كان.

٨- العناية بالتخطيط لمستقبل الدعوة ودراسة الأماكن المناسبة للهجرة، حيث أرسل الرسول-ﷺ- بعض أصحابه إلى الحبشة، وأولى عنايته بأهل المدينة (يثرب)؛ حيث كان يعرض دعوته على القادمين منها، حتى تحققت بيعة العقبة الأولى، والثانية، ثم أرسل بعض صحابته لنشر الإسلام فيها.

المطلب الثالث

تأصيل السلم في النفوس

لقد عاش العربي قبل الإسلام حياة غير مستقرة فهو بين مهاجم معتدي على الآخر لأخذ ما لديه من مرعى وماء وغير ذلك من الأسباب التافهة، أو معتدى عليه وكانت الحرب كر وفر ولا تنتهي. لقد كان الجميع يتشوقون إلى السلام؛ ولكنه كان صعب المنال بسبب ما جبلت عليه نفوسهم من العدوان والإغارة والسلب والنهب.

فلما جاء الإسلام ذهبت عنهم وهدأت النفوس بفضل ما زرعه المنهج القرآني العظيم من قيم تقول:

١- أن العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان تقوم على التعاون على البر والتقوى.

٢-النهي عن الظلم بكافة أشكاله.

٣-أن الأصل هو السلام لا الحرب.

أولاً: التعاون على البر والتقوى.

يقول تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ (المائدة: ٢).

يقول القرطبي: "﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ ﴾ قال الأخفش: هو مقطوع من أول الكلام، وهو أمر لجميع الخلق بالتعاون على البر والتقوى؛ أي: ليعن بعضكم بعضا، وتحاثوا على ما أمر الله تعالى، واعملوا به، وانتهوا عما نهى الله عنه وامتنعوا منه؛

وهذا موافق لما روي عن النبي -ﷺ- أنه قال: الدال على الخير كفاعله[1]، وقد قيل: الدال على الشر كصانعه."[2]

ويقول السعدي: "وَالبر هو: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأعمال الظاهرة والباطنة، من حقوق الله وحقوق الآدميين. والتقوى في هذا الموضع: اسم جامع لترك كل ما يكرهه الله ورسوله، من الأعمال الظاهرة والباطنة. وكلُّ خصلة من خصال الخير المأمور بفعلها، أو خصلة من خصال الشر المأمور بتركها، فإن العبد مأمور بفعلها بنفسه، وبمعاونة غيره من إخوانه المؤمنين عليها، بكل قول يبعث عليها وينشط لها، وبكل فعل كذلك. ﴿ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ ﴾ وهو التجرؤ على المعاصي التي يأثم صاحبها، ويحرج. ﴿ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ وهو التعدي على الخَلْق في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، فكل معصية وظلم يجب على العبد كف نفسه عنه، ثم إعانة غيره على تركه. ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ على من عصاه وتجرأ على محارمه، فاحذروا المحارم لئلا يحل بكم عقابه العاجل والآجل."[3]

ثانيا: النهي عن الظلم مع بيان عاقبته.

يقول النبيِّ -ﷺ-فيما يرويه عَن اللهِ تَبارَكَ وتَعالى أنَّهُ قالَ: "يا عِبادِي إنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ على نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فلا تَظالَمُوا"[4]

في هذا الحديث يقول رب العزة تقدست أسماؤه : يَا عِبادِي إنِّي حرَّمْتُ، أي: منعْتُ الظُّلمَ على نَفْسِي، أي: تَقدَّسْتُ عنه وتعالَيْتُ، فهو في حقِّي مستحيلٌ، وجعلْتُه بينَكم مُحَرَّمًا، أي: حكَمْتُ بِتَحريمِه فيما بينَكم فإذا عَلمتُم ذلك فلا تَظَّالَمُوا، أي: لا يَظلِمْ بعضُكم بعضًا. وقد بين سبحانه أن الظالمين عاقبتهم وخيمة لأنه وحده سبحانه هو الذي سيتولى أمرهم بنفسه وسيحاسبهم على ظلمهم فقال تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ

---

(1) أخرجه أبو داود في سننه ،أبواب النوم ، باب في الدَّالِّ على الخَير كفاعِلِه (٤٤٧/٧)حديث(٥١٢٧)وقال شعيب الأرنؤط :إسناده صحيح.

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٦/ ٤٦.

(3)تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ١/ ٢١٨.

(4) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، باب تحريم الظلم، حديث رقم: ٢٥٧٧: ٤/ ١٩٩٤.

ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ، مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ﴾ (إبراهيم: ٤٢– ٤٣).

يقول السمرقندي: " يعني: لا تظنّن يا محمد أن الله غافل عما يعمل الظالمون، أي: المشركين. يعني: إن أعمالهم لا تخفى عليّ، ولو شئت لعجلت عقوبتهم في الدنيا. قال ميمون بن مهران: هذه الآية تعزية للمظلوم ووعيد الظالم ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ يعني: يمهلهم ويؤجلهم." .[1]

وقال البيضاوي:" الآية خطاب لرسول الله –ﷺ–، والمراد به تثبيته على ما هو عليه من أنه تعالى مطلع على أحوالهم وأفعالهم لا يخفى عليه خافية، والوعيد بأنه معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة، أو لكل من توهم غفلته جهلاً بصفاته واغتراراً بإمهاله. وقيل إنه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم. ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ ﴾يؤخر عذابهم. ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَارُ﴾ أي تشخص فيه أبصارهم فلا تقر في أماكنها من هول ما ترى.

﴿ مُهْطِعِينَ ﴾ أي مسرعين إلى الداعي، أو مقبلين بأبصارهم لا يطرفون هيبة وخوفاً، وأصل الكلمة هو الإقبال على الشيء. ﴿ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ رافعيها. ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْۖ﴾ بل تثبت عيونهم شاخصة لا تطرف، أو لا يرجع إليهم نظرهم فينظروا إلى أنفسهم. ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ خلاء أي خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة، ومنه يقال للأحمق وللجبان قلبه هواء أي لا رأي فيه."[2]

ثالثا: الأصل هو السلام لا الحرب.

بعد أن بين المنهج القرآني الأصل في العلاقة بين الخلق هو التعاون وليس الاعتداء ونهى عن الظلم وبين عاقبة الظالمين أمرهم بالدخول في السلم كافة.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ٢٠٨﴾ (البقرة: ٢٠٨).

([1])بحر العلوم للسمرقندي:٢/ ٢٤٦.

([2]) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي: ٢٠٢/٣.

يقول شيخ الأزهر –: "وإذا كان المراد بكلمة ﴿ ٱلسِّلۡمِ ﴾ المسالمة والمصالحة كان المعنى: يا أيها الذين آمنوا إن إيمانكم يوجب عليكم فيما بينكم أن تكونوا متصالحين غير متعادين، متحابين غير متباغضين، متجمعين غير متفرقين، كما أنه يوجب عليكم بالنسبة لغيركم ممن هو ليس على دينكم أن تسالموه متى سالمكم، وأن تحاربوه متى اعتدى عليكم، فإن دينكم ما جاء للحرب والخصام وإنما جاء للهداية وللسلام العزيز القوى الذي يرد الاعتداء بمثله.... هذا هو المعنى الذي نراه ظاهراً في الآية، وهو ما سار عليه المحققون من المفسرين."[1]

(1) التفسير الوسيط لطنطاوي: ١/ ٤٤٨.

المبحث الثالث

القتال في القرآن: المنهج والغاية

إن كل عمل يقوم به المسلم لابد له من غاية يسعى لتحقيقها، ولابد له من نية يصفي بها عمله ويجرده؛ كي يكون خالصاً لوجه الله خاليا من أي فساد، ولابد له من منهج يضبط هذا العمل؛ والقتال من أعظم ما يقوم به المسلم.

المطلب الأول

منهج القرآن في تشريع القتال

اتخذ القرآن (سُنَّة التدرُّج) في تشريعاته؛ ولهذا فقد أخَذَ بها النبي -ﷺ-واقْتفَى أثرَها؛ سواء في دعوته بمكَّة؛ حيث كانت الدعوة سِرًّا، ثم تدرَّج وانتقل من الدعوة السِّريَّة إلى الدعوة الجهريَّة إلى طلب النُّصرة من القبائل، والبحث عن سندٍ اجتماعي للدعوة، كذلك التدرُّج في تصحيح العقيدة.

أمَّا في المدينة فقد كانتْ هذه السُّنَّة الإلهية جليَّة في بناء الدولة والتربية، وهكذا كان -ﷺ-يسيرُ ويتحرَّك وفقَ سُنن الله الاجتماعية، وممَّا يؤكد الأخْذ بسُنَّة التدرُّج: تشريع الجهاد وقتال العدو الذي مرَّ بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: الكفُّ والإعراض والصَّفْح، وإعداد النفس قبلَ خوْض المعارك، وذلك حتى تستطيعَ الفِئة المؤمنة الثباتَ في ساحة القتال، فكان الحبيب المصطفى -ﷺ- يُوصِي أصحابَه بالصبر والتؤدة، وعدم مواجهة الكفَّار والمشركين؛ قال تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴿٤٣﴾ (الشورى: ٤٣)؛ أي: "فالانتقام جائز، (والعفو جائز)، والعفو أحسن، فكذلك أمروا أن يعملوا بأحسن ما أُبِيحَ لهم فعله"[1].

﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ أي: من حق (الأمور) ، وقيل: من عزائم الله التي ندب إليها عباده. ويقال: من ثابت الأمور التي لا تنسخ. قال الزجاج: ندب الله تعالى المظلوم

([1])الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي: ٤/ ٢٥٥٠.

أن (يعفو) عن الظالم، ويصبر عن الظلم؛ لينال الثواب في الآخرة، فمن كان أرغب في ثواب الآخرة فهو أتم عزماً على الصبر. "[1]

وقال عزَّ من قائل: ﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ٨٨ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ٨٩ ﴾ (الزخرف: ٨٨-٨٩) أي: " ﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ ﴾ يعني قوله محمد -ﷺ- شاكيًا الله ربه يا رب ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ قال ابن عباس: شكا إلى الله تعالى تخلف قومه عن الإيمان، وقال قتادة:هذا نبيكم يشكو قومه إلى ربه. ﴿ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ ﴾ يعني أعرض عنهم وفي ضمنه منعه من أن يدعو عليهم بالعذاب ﴿ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ ﴾ معناه المتاركة، وقيل معناه قل خيراً بدلًا من شرهم ﴿ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾ يعني عاقبة كفرهم وفيه تهديد لهم وقيل معناه يعلمون أنك صادق".[2]

وقال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ١٤ ﴾ (الجاثية: ١٤)؛ أي: "تدبهم إلى حسن الخلق، وجميل العشرة، والتجاوز عن الجهل، والتنقى من كدورات البشرية. ومقتضيات الشّحّ. وبيّن أنّ الله- سبحانه- لا يفوته أحد. فمن أراد أن يعرف كيف يحفظ أولياءه، وكيف يدمّر أعداءه. فليصبر أياماً قلائل ليعلم كيف صارت عواقبهم".[3]

وعن خبَّاب بن الأرتِّ -ﷺ- قال: أتيتُ النبي -ﷺ- وهو مُتوسِّد بُردة، وهو في ظلِّ الكعبة، وقد لَقِينا من المشركين شدَّة، فقلتُ: ألَا تدعو اللهَ، فقَعدَ وهو مُحمرٌّ وجهُه، فقال: (لقد كان مَن قبلكم لَيُمشَط بمشَاط الحديد ما دون عِظامه من لحمٍ أو عَصَب، ما يَصرِفه ذلك عن دِينه، ويُوضع المِنشارُ على مَفرِق رأسه، فيُشق باثنين ما يَصرِفه ذلك عن دِينه، ولَيُتِمنَّ اللهُ هذا الأمرَ، حتى يسيرَ الراكب من صنعاءَ إلى حضرموت ما يَخاف إلَّا اللهَ)[4]

---

(1) تفسير القرآن للسمعاني: ٥/٨٤

(2)لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن: ٤/١١٥.

(3)لطائف الإشارات للقشيري : ٣/٣٩١.

(4)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبيُّ -ﷺ-وأصحابه من المشركين بمكَّة، حديث رقم: ٣٨٥٢-٥/٤٥.

كما اتَّجه النبيُّ -ﷺ- في هذه المرحلة إلى تربية النفوس، وتصحيح العقيدة وتنقيَتها ممَّا شابَها من رذائل ومنكَرات، ولعلَّ الحكمة في هذا مراعاةُ سُنن التدرُّج، التي تُؤتي ثمارَها في كل وقت وحين بإذْن ربها، ولو أُمروا بالقتْل قبل أن يشتدَّ عُودُهم، وتَصْفُوَ نفوسهم، وهم قلَّة تكالبُ عليهم الأعداءُ من كلِّ حدَب وصَوْب – لكان ذلك سببًا للقضاء عليهم؛ ولهذا كان النبيُّ -ﷺ-على وعيٍ تامٍّ وإدراك بأهمية التخطيط والتُّؤَدَة، واستقراء الأحداث، ومراعاة سُنَّة الله في حركاته.

المرحلة الثانية: الإذن بالقتال من غير إلزام: قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ٣٩﴾ (الحج: ٣٩).

أُبيح لهم القتالُ دفاعًا عن النفس، فبدأ النبيُّ -ﷺ- بإرْسال السرايا والخروج للغزوات؛ فكانت السرايا الأولى – وهي ثلاثة – في شهر رمضان وشوال وذي القعدة، وبعدَها بدأت الغزوات في السَّنة الثانية من الهجرة، فكانت أوَّلُ غزواته غزوةَ وَدَّان[1] وغزوة العشيرة[2]

المرحلة الثالثة: فُرِض عليهم قتالُ مَن قاتلهم، أو اعتدى عليهم، أو وقف في طريق دعوتهم، أو ظَهَر منه قصْدُ العدوان ببيِّنة ثابتة:

يقول تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلَۢا٩٠ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا٩١﴾ (النساء: ٩٠-٩١)، وقال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ١٩٠﴾ (البقرة: ١٩٠).

---

(١)وَدَّانُ: موضعٌ بين مكة والمدينة، قرية جامعة من نواحي الفُرْع، بينها وبين هَرْشَى ستة أميال، وبينها وبين الأبواء نحوٌ من ثمانية أميال، قريبة من الجحفة، وهي لضمرة وغفار وكنانة؛ "معجم البلدان"، باب الواو والدال وما يليهما، حرف الواو: ٣٦٥/٥.

(٢)العشيرة: موضع بين مكة والمدينة من ناحية ينبع؛ "مراصد الاطلاع": ٩٤٣/٢.

وقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣﴾ (البقرة: ١٩٣) ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ أي: يكون دين كل شخص خالصاً لله لا أثر لخشية غيره فيه، فلا يفتن لصده عنه ولا يؤذى فيه، ولا يحتاج فيه إلى الدهان والمداراة، أو الاستخفاء أو المحاباة، وقد كانت مكة إلى هذا العهد قرار الشرك، والكعبة مستودع الأصنام، فالمشرك فيها حر في ضلالته، والمؤمن مغلوب على هدايته، قال: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾ أي: في هذه المرة عما كانوا عليه ﴿فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: فلا عدوان عليهم ؛ لأن العدوان إنما يكون على الظالمين تأديبا لهم ليرجعوا عن ظلمهم"[1]

وقال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣٩﴾ (الأنفال:٣٩) والمراد بالقتال في أرض مكة وما حواليها حتى لا يبقى فيها كافر، لأن المقصود حصل هنا ولا يمكن حمله على جميع البلاد، إذ لو كان ذلك مراداً لما بقي الكفر فيها مع حصول القتال الذي أمر الله به[2].

وبعدَ كل ذلك: "أَمَر اللهُ -ﷻ- المسلمين بقتال المشركين لِصَدِّ عُدوانهم، وإزالة الفتنة عن الناس؛ حتى يستمعوا النِّداءَ الحقَّ مِن غير عائق، وحتى يَرَوا نظام الإسلام مطبَّقًا؛ لِيَعرفوا ما فيه مِن عدل وإصلاح لحياة البَشَر"[3]

وقال تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ٢٩﴾ (التوبة: ٢٩).

وعلى هذه المرحلة الأخيرة، ا ستقرَّ أمْرُ القِتال في الإ سلام، ولهذا كَتَب الـ صِّدِّيقُ أبو بكر -ﷺ- إلى أهل اليمَن يَحثُّهم على الجهاد في سبيل الله، قال بعدَ أن حَمِد الله، وأثنى عليه: (ســــلام عليكم، فإنِّي أحمدَ الله إليكم الله الذي لا إله إلَّا هو، أمَّا بعدُ، فإنَّ الله تعالى كتَبَ على المؤمنين الجهادَ، وأمَرَهم أن يَنفِروا خفافًا وثقالًا، ويُجاهِدوا بأموالهم

([1]) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار لرشيد رضا) ٢/١٧٠.

([2]) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير للرازي : ١٥/٤٨٤

([3]) منهج النَّبيِّ -ﷺ- في الدعوة : ص٢٤٨.

وأنفُ سهم في سبيل الله. والجِهادُ فريضةٌ مفروضة، والثواب عند الله عظيم، وقد استنفرَنا إلى جهاد الرُّوم بالشام، وقد سارعوا إلى ذلك، وقد حَسُنتْ نيَّتهم، وعظُمتْ حسنتُهم، فسارِعوا إلى ما سارَعوا إليه، ولتحسُن نيَّتُكم فيه، فإنَّكم إلى إحدى الحُسنيَين: إمَّا الشهادة، وإمَّا الفتح والغنيمة، فإنَّ الله -ﷻ-لم يرضَ من عباده القَوْل دون العمَل، ولا يزال الجهادُ لأهل عداوته حتى يَدينوا بدينِ الحق، ويُقِرُّوا لِحُكم الكتاب، حَفِظ الله دِينَكم، وهَدَى قلوبَكم، وزكَّى عملَكم، ورزقكم أجْرَ المُجاهِدين الصابرين"[1]

ومجمل القول: فلكلِّ حالة من أحوال الأمَّة حُكمُها، يُفرَّق فيها بين حال القوَّة وحال الاستضعاف، فيُقرِّر الفقهاء والعلماء لكلِّ حالٍ ولكلِّ مرحلة ما يُوافِقها، وَفْقَ سُنَّة اللهِ في التدرُّج، كما حدث في مراحل تشريع القتال.

[1] ()تهذيب تاريخ دمشق الكبيرلابن عساكر: ١/١٢٩.

المطلب الثاني
الغاية من القتال في القرآن

يبين ويحدد رسول الله -ﷺ-الغاية من القتال عندما جاء رجل يسأَل النَّبيَّ-ﷺ- عن القتالِ في سبيلِ الله، ويخبَره أنَّ الرَّجلَ إمّا يقاتلُ غضبًا، أي: رغبةً في الانتقامِ والثَّأرِ من العدوِّ، أو يقاتلُ حَميَّةً، أي: أنَفَةً وغَيرةً، دفاعًا عن قومِه، وهذه الصور كلها موجودة في كل عصر ومصر؛ فأجابه النَّبيُّ -ﷺ-: مَن قاتَل لتكونَ كلمةُ اللهِ هي العُلْيا، أي: مَن كان غايتُه ونيَّتُه من قتالِه أن تصبحَ كلمةُ التَّوحيدِ هي الكلمةَ النّافذةَ في هذه الأرضِ، الَّتي لها سلطانُها الَّذي لا يُرَدُّ، وسيطرتُها الَّتي لا تُحَدُّ- فهو في سبيلِ اللهِ، أي: فهو المجاهدُ الحقيقيُّ، الَّذي إن قُتِل نال الشَّهادةَ، وإن رجَع رجَع بأجرٍ وغَنيمةٍ.

(جاءَ رَجُلٌ إلى النبيِّ -ﷺ-، فَقالَ الرَّجُلُ: يُقاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، والرَّجُلُ يُقاتِلُ لِلذِّكْرِ، والرَّجُلُ يُقاتِلُ لِيُرى مَكانُهُ، فمَن في سَبيلِ اللَّهِ؟ قالَ: "مَن قاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هي العُلْيا فَهو في سَبيلِ اللَّهِ).[1]

يستفاد من الحديثِ ما يلي:

١-أنَّ النِّيةَ الصّالحةَ شرطٌ لقَبولِ العمَلِ عند اللهِ عزَّ وجلَّ.

٢-أن الغايات من القتال متعددة ومتشعبة.

٣-أن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم

٤-أن عظمة العمل تنبع من الغاية التي من أجلها عمل.

وقد تناول المنهج القرآني هذا الموضوع بشيء من التفصيل؛ يقول تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: ٣٩ ــ ٤٠)

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، حديث رقم: ٢٨١٠، ومسلم في صحيحه في الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، حديث رقم: ١٩٠٤.

"عن ابن عباس -ﷺ-قال: نزلت في محمد وأصحابه حين أخرجوا من مكة، وقال غير واحد من السلف هذه أول آية نزلت في الجهاد، واستدل بهذه الآية بعضهم على أن السورة مدنية".(١)

قال المراغي:" أي رخّص للمؤمنين، وأبيح لهم أن يقاتلوا المشركين لظلمهم إياهم، فقد كانوا يؤذون أصحاب النبي -ﷺ-أذى شديداً فيأتون إليه بين مضروب ومشجوج فى رأسه ويتظلمون إليه فيقول لهم صبراً صبراً، فإنى لم أوذن بالقتال حتى هاجر، وأنزل الله هذه الآية، وهى أول آية نزلت بالإذن بالقتال بعد ما نهى عنه فى نيف وسبعين آية.ثم وعدهم بالنصر ودفع أذى المشركين عنهم فقال:

﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴾ أي وإن الله على نصر المؤمنين الذين يقاتلون فى سبيله لقادر، وقد فعل فأعزهم ورفعهم، وأهلك عدوهم وأذلهم بأيديهم"(٢).

ويفصّل ابن كثير فيقول: وقوله: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴾أي : هو قادر على نصر عباده المؤمنين من غير قتال، ولكن هو يريد من عباده أن يبلوا جهدهم في طاعته، كما قال: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٤ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ٥ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ٦﴾ (محمد: ٤٦)، وقال تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٥﴾ (التوبة: ١٤، ١٥)، وقال: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٦﴾ (التوبة: ١٦)، ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢﴾ (آل عمران: ١٤٢)، وقال: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ

---

(١)تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٥/ ٣٨٠.

(٢)تفسير المراغي :١٧٧/١٧.

مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾(محمد: ٣١) . والآيات في هذا كثيرة؛ ولهذا قال ابن عباس في قوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ وقد فعل".[١]

يقول شيخ الأزهر-- "هذا بيان لبعض الأسباب التي من أجلها شرع الله الجهاد في سبيله".[٢]

والمعنى: "أن الله سبحانه قادر على نصر عباده المؤمنين الذين صبروا على أذى المشركين الذين أخرجوهم قسرا من ديارهم بغير وجه حق سوى أنهم يقولون ربنا الله فعبدوه ووحدوه مخلصين له الدين، فإن كان هذا ذنبا، فهو ذنبهم كقوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ (البروج: ٨)، وهذا يدل على حكمة الجهاد، وأن المقصود منه إقامة دين الله، وذب الكفار المؤذين للمؤمنين، البادئين لهم بالاعتداء، عن ظلمهم واعتدائهم، والتمكن من عبادة الله، وإقامة الشرائع الظاهرة. ولهذا قال: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ فيدفع الله بالمجاهدين في سبيله ضرر الكافرين، ﴿لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ﴾ أي: لهدمت هذه المعابد الكبار، لطوائف أهل الكتاب، معابد اليهود والنصارى، والمساجد للمسلمين، ﴿يُذْكَرَ فِيهَا﴾أي: في هذه المعابد ﴿اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ تقام فيها الصلوات، وتتلى فيها كتب الله، ويذكر فيها اسم الله بأنواع الذكر، فلولا دفع الله الناس بعضهم ببعض، لاستولى الكفار على المسلمين، فخربوا معابدهم، وفتنوهم عن دينهم، فدل هذا، أن الجهاد مشروع، لأجل دفع الصائل والمؤذي، ومقصود لغيره. ودل ذلك على أن البلدان التي حصلت فيها الطمأنينة بعبادة الله، وعمرت مساجدها، وأقيمت فيها شعائر الدين كلها، من فضائل المجاهدين وببركتهم، دفع الله عنها الكافرين، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (البقرة: ٢٥١) .

وقال تعالى:﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: ٤٠)

---

(١)تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٥/ ٣٨١.

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي: ٩/ ٣١٧.

يقول ابن كثير: "وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ وصف نفسه بالقوة والعزة، فبقوته خلق كل شيء فقدره تقديراً، وبعزته لا يقهره قاهر، ولا يغلبه غالب، بل كل شيء ذليل لديه، فقير إليه. ومن كان القوي العزيز ناصره فهو المنصور، وعدوه هو المقهور، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ١٧٣﴾ (الصافات: ١٧١ــ ١٧٣) وقال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ٢١﴾.[1]

ثم ذكر علامة من ينصره، وبها يعرف فقال: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤١] أي هؤلاء الذين أخرجوا من ديارهم هم الذين إن مكنا لهم فى البلاد، فقهروا المشركين وغلبوهم عليها- أطاعوا الله فأقاموا الصلاة على النحو الذي طلبه، وأعطوا زكاة أموالهم التي حباها لهم، ودعوا الناس إلى توحيده، والعمل بطاعته، وأمروا بما حثت عليه الشريعة، ونهوا عن الشرك واجتراح السيئات.

وخلاصة ذلك- إنهم هم الذين كمّلوا أنفسهم باستحضار المعبود والتوجه إليه فى الصلاة على قدر الطاقة، وكانوا عونا لأممهم بإعانة فقرائهم وذوى الحاجة منهم، وكمّلوا غيرهم، فأفاضوا عليهم من علومهم وآدابهم، ومنعوا المفاسد التي تعوق غيرهم عن الوصول إلى الرقى الخلقي والأدب السامي.

ثم وعد بإعلاء كلمته ونصر أوليائه فقال:(وَلِلَّهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ) أي ولله آخر الأمور ومصايرها، فى الثواب عليها أو العقاب فى الدار الآخرة " .[2]

يستفاد من ذلك بما يلي:

١-أن الإذن بالقتال جاء بعد الأمر بالكف عن القتال حتى لو نال المسلمون من أذى المشركين وفي ذلك ترويض للنفس البشرية وخاصة نفوس العرب التي تربت على عدم الانضباط في هذا الأمر وأيضا تربيتهم على حسن السمع والطاعة

([1])تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٥/ ٣٨٣.

([2]) تفسير المراغي: ١٢١/١٧.

٢-لقد رباهم المنهج القرآني على الحكمة في تناول الأمور وخاصة موضوع القتال الذي قد تزهق في الأنفس وتراق فيه الدماء.

٣- بين لهم أن القتال لابد أن يكون له سبب كما أنه يكون الحل الأخير وليس أول ما يلجأ إليه.

٤-التربية على الثقة في الله واليقين بنصره لعباده المؤمنين في كل زمان ومكان.

٥-أن فساد الأرض وهدم الدين يكون نتيجة لعدم الأخذ على يد الظالم فلو أن الظالم وجد ما يرده ويدفعه ما تجرأ على ظلم أحد؛ هذه سنة الله التي لا تتبدل.

٦-أن تمكين الله لعباده المؤمنين في الأرض له تبعات عظمي؛ تتمثل في تحقيق خلافة الله في أرضه، والخلافة تقتضي ما يلي:

أولًا: تحقيق معني العبودية لله في أرضه ممثلا في إقامة الصلاة التي هي عمود الدين.

ثانيًا: تحقيق العدالة بكافة أشكالها في أرض الله ممثلة في إيتاء الزكاة.

ثالثًا: الأمر بالمعروف والدعوة إلى الخير بكافة أشكاله؛ ففي هذا صلاح الأرض وعمارتها.

رابعًا: النهي عن المنكر بكافة أشكاله وصوره، وفي هذا نقاء المجتمع وطهارته.

المبحث الثالث

رد الاعتداء وضوابطه في المنهج القرآني

كما أن القتال شرع لغاية محددة وهي حماية الحق المتمثل في دين الله -تبارك وتعالى- الذي يضمن سعادة البشر في الدنيا والآخرة.

وضع المنهج القرآني ضوابط محددة لرد الاعتداء حتى لا يخضع الأمر للأهواء والنزوات الشخصية كما يحدث في عالمنا الآن.

لقد خسر العالم مئات الملايين من البشر كما خسر من الموارد العظيمة التي كان باستطاعتها أن توفر الرفاهية والأمان لكل بني البشر كل ذلك بسبب قرارات رعناء بالحرب ولقد عانى العالم الإسلامي ما عاناه من جراء هذه الحروب وأصدق مثال على ذلك الحرب بين العراق وإيران. كل هذا بسبب البعد عن المنهج القرآني الرشيد.

ولو أن عالم اليوم كان متقيدا بهذه الضوابط القرآنية الرصينة لتجنب المئات من الحروب أقلها حربان عالميتان أتتا على الأخضر واليابس في كل أنواع الموارد سواء كانت بشرية أو اقتصادية حتى أن بلد كألمانيا زادت فيها نسبة النساء على الرجال بسبب هذه الحرب الرعناء.

وقد ذكرت الكثير من النصوص القرآنية الضوابط لرد الاعتداء، منها:

قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ١٩٠﴾ (البقرة: ١٩٠)

يقول ابن كثير: " قاتلوا في سبيل الله ولا تعتدوا في ذلك ويدخل في ذلك ارتكاب المناهي من المثلة، والغلول، وقتل النساء والصبيان والشيوخ الذين لا رأي لهم ولا قتال فيهم، والرهبان وأصحاب الصوامع، وتحريق الأشجار وقتل الحيوان لغير مصلحة" [1]

وقال رشيد رضا:" يقول: أيها المؤمنون الذين تخافون أن يمنعكم مشركو مكة عن زيارة بيت الله والاعتمار فيه نكثا منهم للعهد وفتنة لكم في الدين، وتكرهون أن تدافعوا عن

([1])تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ١/ ٥٢٤.

أنفسكم بقتالهم في الإحرام والشهر الحرام، إنني أذنت لكم في القتال على أنه دفاع في سبيل الله للتمكن من عبادته في بيته وتربية لمن يفتنكم عن دينكم وينكث عهدكم، لا لحظوظ النفس وأهوائها، والضراوة بحب التسافك، فقاتلوا في هذه السبيل الشريفة من يقاتلكم ﴿ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ ﴾ بالقتال فتبدءوهم، ولا في القتال فتقتلوا من لا يقاتل كالنساء والصبيان والشيوخ والمرضى، أو من ألقى إليكم السلم وكف عن حربكم، ولا بغير ذلك من أنواع الاعتداء كالتخريب وقطع الأشجار، وقد قالوا: إن الفعل المنفي يفيد العموم"[1].

قال أبو زهرة:" والاعتداء المنهي عنه قسمان:

أحدهما: الاعتداء بالقتال على قوم لم يعتدوا على المؤمنين، وهم الذين ما جعل الله عليه سبيلًا.

ثانيهما: الاعتداء في القتال، فيقتل من لا يقاتل، فيقتل مثلًا الشيوخ والنساء والذرية، فإن هذا اعتداء في القتال منهي عنه، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤﴾ [البقرة:١٩٤] وإنَّ من مقتضى هذه التقوى ألَّا يقاتلوا من لا يقاتل، وألَّا يقطعوا الأشجار، وألَّا ينتهكوا الأعراض، وألَّا يستبيحوا الأموال بغير حقها.

ويلاحظ أنَّ القتال في الماضي كان لا يتجاوز معسكر الحكام والجيوش، والعلاقة بين المسلمين وشعوب الملك أو الرئيس القاتل قائمة كأنه لا حرب والسلام قائم"[2] .

ولنا في سيّدنا رسول الله -ﷺ- أسوة وقدوة في جهادِه القتالي؛ حيث لم يكن – صلوات ربّي وسلامُه عليْه – في جَميع غزواته وسراياه بادئًا بالقتال، أو طالبًا لدنيا، أو جامعًا لمال، أو راغبًا في زعامة، أو موسعًا لحدود دولة أو مملكة، بل كلّ ذلك كان هداية للنَّاس، وتحريرًا للعقول، ورفعًا للظُّلم، وربطًا للنَّاس بربِّ العالمين، بأعْلى أساليب العفَّة والشَّرف والنُّبل، ممَّا جعل هذه الغزوات أُنموذجًا للتَّعامُل الدَّولي في الحروب والأسارى.[3]

---

(1) تفسير المنار: ١٦٨/٢.

(2)المعجزة الكبرى القرآن لأبي زهرة ص٣٦٦.

(3) العلاقات الإسلاميَّة النصرانيَّة في العهْد النبوي، فاروق حمادة: ١٧٢.

ولهذا كان النبي -ﷺ- إذا أمّر أميرا على جيش أو سريّة أوصاه في خاصّته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً.

ثم قال: "اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلّوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوّك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال فأيّتهنّ ما أجابوك فاقبل منهم وكفّ عنهم. ادعهم إلى الإسلام؛ فإن أجابوك فاقبل منهم وكفّ عنهم، ثم ادعهم إلى التحوّل من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين؛ فإن أبوا أن يتحوّلوا فأخبرهم أنّهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين. ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلّا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن أبوا فسلهم الجزية؛ فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكفّ عنهم فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم"[1]

وهذه طائفة من أحاديث الرسول -ﷺ- ووصايا أصحابه، تكشف عن طبيعة هذه الآداب، التي عرفتها البشرية أول مرة على يد الإسلام، أحاديث نبوية في صدد عدم قتال وقتل النساء والأطفال والشيوخ، منها:

١-حديث رواه أبو داود عن أنس قال: "إنّ النبي -ﷺ- قال: انطلقوا باسم الله وعلى ملّة رسول الله ولا تقتلوا شيخًا فانيًا ولا طفلًا صغيراً ولا امرأة."[2]

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، حديث رقم:١٧٣١- ٣/ ١٣٥٧.

(٢)أخرجه: أبو داود في سننه: كتاب الجهاد، باب في دعاء المشركين، (٤/٢٥٦)حديث ٢٦١٤. وقال شعيب الأرنؤوط:حسن لغيره.

-قال الخطابي: نهيه عن قتل النساء والصبيان يُتأول على وجهين: أحدهما: أن يكون ذلك بعد الإسار، نهى عن قتلهم، لأنهم غيمة للمسلمين.

والوجه الآخر: أن يكون ذلك عاماً قبل الإسار وبعده، نهى أن يقصدوا بالقتل، وهم متميزون عن المقاتلة، فأما وهم مختلطون بهم لا يوصل إليهم إلا بقتلهم، فإنهم لا يُتحاشَون، والمرأة إنما لا تقتل إذا لم تكن تقاتل، فإن قاتلت قُتلت، وعلى هذا مذهب أكثر الفقهاء.

وقال الشافعي: الصبي الذي يقاتل يجوز قتله، وكذلك قال الأوزاعي وأحمد.

واختلفوا في الرهبان، فقال مالك وأهل الرأي: لا يجوز قتلهم.

وقال الشافعي: يقتلون، إلا أن يُسلموا أو يؤدوا الجزية.

واستدل بهذا الحديث أن القتال ليس لأجل أن يسلموا، ولكنه لحماية الإسلام، بدليل أننا لا نقتل هؤلاء، ولو كان من أجل ذلك لقتلناهم إذا لم يسلموا.

٢-وعن عبد الله ابن عمر -ﷺ-قال: وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله-ﷺ- فأنكر رسول الله -ﷺ- قتل النساء والصبيان.[١]

٣-وعن أبي هريرة -ﷺ-قال: بعثنا رسول الله -ﷺ- فقال: "إن وجدتم فلانًا وفلانًا - رجلين من قريش- فاحرقوهما بالنار" . فلما أردنا الخروج قال: "كنت أمرتكم أن تحرقوا فلانًا وفلاناً، وإن النار لا يعذب بها إلا الله تعالى فإن وجدتموهما فاقتلوهما".[٢]

ووجه الاستدلال منه أنه -ﷺ- أمرهم أولاً بحرق الرجلين الكافرين ثم عدل عن الأمر بحرقهما إلى الأمر بقتلهما معللاً عدوله عن حرقهما بأن النار لا يعذب بها إلا الله ولو كان ما أمر به أولاً عن وحي لما رجع عنه، ومما يدل على أن أمره الأول كان باجتهاد منه. ما جاء في رواية أخرى بلفظ " ثم رأيت أنه لا ينبغى أن يعذب بالنار إلا الله ".

والتحريق بالنار لمن كفر بالله اختلف العلماء فيه، فأجازه جماعة واستدلوا لذلك، ومنعه آخرون واستدلوا له.

"وخلاصة القول في هذه المسألة: أن السلف من الصحابة ومن بعدهم على رأيين منهم من يرى جواز التعذيب به، ومنهم من لا يرى ذلك، والذين أجازوه منهم من يعاقب به كل مرتد، ومنهم من يعاقب به من أضاف إلى الارتداد عملا آخر مشينا، وأن مدار خلافهم هو هذا الحديث ونظائره. فمن فهم من هذا النص النهي قال بمنع التحريق، ومن فهم منه أن الرسول -ﷺ- أراد التنزه والتعظيم لله قال: بأن الأمر بالتحريق باق على أصله." [٣]

وقال أصحاب الرأي: لا يقتل شيخ ولا زَمِنٌ ولا أعمى، وقال الشافعي: هؤلاء كلهم يُقتلون.

(١)أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب قتل الصبيان، حديث:٣٠١٤-٦١/٤ ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد، باب تحريم قتل النساء،حديث: ١٧٤٤ -١٣٦٤/٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب لا يعذب بعذاب الله: حديث :٣٠١٦ -٦١/٤

(٣) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (٦/ ١٥٠- ١٥١) .

٥-وعن عبد الله بن مسعود -ﷺ-قال: قال رسول الله -ﷺ-: "أَعَفُّ الناس قِتْلَةً أهلُ الإيمان"[١]

أي: هم أرحم الناس بخلق الله، وأشدهم تحرياً عن التمثيل والتشويه بالمقتول، وإطالةِ تعذيبه إجلالاً لخالقهم، وامتثالاً لما صدر عن صدر النبوة من قوله: "إذا قتلتم فأحسنوا القِتلة"، بخلاف أهل الكفر وبعض أهل الفسوق ممن لم تذق قلوبهم حلاوةَ الإيمان، واكتفوا من مسَماه بلقلقة اللسان، وأشْرِبوا القسوة، حتى أبعدوا عن الرحمن، وأبعد القلوب من الله القلب القاسي، ومن لا يرحم لا يرحم".[٢]

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبدالله بن مسعود-□-،حديث:٣٧٢٨- ٤/ ١١، وقال أحمد شاكر:إسناده صحيح.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي: ٢/ ١٠.

٦-وعن يَعْلَى بْنُ عُبَيْدٍ[١] قال: غزونا مع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد[٢] ، فأتى بأربعة أعلاج[٣] من العدو، فأمر بهم فقتلوا صبرا[٤] بالنبل. فبلغ ذلك أبا أيوب الأنصاري -- فقال: سمعت رسول الله -ﷺ- ينهى عن قتل الصبر. فوالذي نفسي بيده، لو كانت دجاجة ما صبرتها. فبلغ ذلك عبد الرحمن، فأعتق أربع رقاب. "[٥]

فإذا كان ذلك ممنوعًا منه في البهائم كان بنو آدم في المنع أولى.

---

(١)يَعْلَى بْنُ عُبَيْدِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ الطَّنَافِسِيُّ ، ويكنى أبا يُوسُفَ، وُلِدَ سنة سبعَ عشرةَ ومائةٍ في خلافةِ هشامِ بنِ عبدِ الملكِ، وتوفي بالكوفةِ يومَ الأحدِ لخمسٍ ليال خلوْنَ من شَوّالٍ سنة تسعٍ ومائتينِ في خلافةِ المأمونِ، وكان ثقةً كثِير الحديث، روى عن: يحيى بن سعيد الأنصاري، والأعمش، وخلق غيرهم، روى عنه: إسحاق بن راهويه، ومحمد بن عبد الله بن نمير، وغيرهم كثير. ينظر ترجمته: الطبقات الكبرى لابن سعد : ٦ / ٣٩٧، ، وسير أعلام النبلاء: ٩ / ٤٧٦.

(٢) عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي القرشي (٣ ق هـ - ٤٦ هـ/ ٦١٨م - ٦٦٦م): من صغار الصحابة، وهو من أبناء الصحابي سيدنا خالد بن الوليد ، وأمه: أسماء بنت أنس بن مدرك، أدرك النبي -ﷺ- ورآه، وشهد اليرموك مع أبيه، مات سنة ست وأربعين، قتله ابن أثال النصراني بالسم بحمص، ينظر: الإصابة لابن حجر: ٥ / ٢٧، أسد الغابة لابن الأثير: ٤/ ٤٢٣.

(٣)العلج: الرجل من الكفار العجم ويقال أيضا لحمار الوحش لاستعلاج خلقه وغلظه، وكذا إذا سمن وقوي قيل له: علج، والأنثى علجة وجمعه علجة وأعلاج وعلوج، أخرج البخاري في فضائل الصحابة باب الاتفاق على عثمان وقصة مقتل عمر:" فطار العلج بسكين ذات حرفين ... فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه ..." الحديث. ويجمع على أعلاج، كما في هذا الحديث، وعلوج كما في حديث البخاري السابق، أن عمر قال لابن عباس:" قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة": ينظر بالإضافة إلى ما سبق لسان العرب ٢/ ٣٢٦، والمصباح المنير ١/ ٥٠٧..

(٤)قَتَلَهُ صَبْرًا: حبسه حتى مات.

(٥) أخرجه ابو داود في سننه ، أول كتاب الجهاد، باب في المَنِّ على الأسير بغير فداء، حديث ٢٦٨٧-٣٢٥/٤.وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

٧-وعن الحارث بن مسلم بن الحارث[١] عن أبيه -ﷺ- قال: بعثنا رسول الله -ﷺ- في سرية؛ فلما بلغنا المغار[٢] استحثثت[٣] فرسي فسبقت أصحابي؛

فتلقاني أهل الحي بالرنين[٤] فقلت لهم: قولوا: لا إله إلا الله تحرزوا، فقالوها؛ فلامني أصحابي، وقالوا: حرمتنا الغنيمة فلما قدمنا على رسول الله -ﷺ-أخبروه بالذي صنعت. فدعاني فحسن لي ما صنعت. ثم قال لي: "إن الله تعالى قد كتب لك بكل إنسان منهم كذا وكذا من الأجر "[٥]

كان المسلمون يعلمون أنهم لا ينصرون بعددهم – فعددهم قليل– ولا ينصرون بعدتهم وعتادهم –فما معهم منه أقل مما مع أعدائهم– إنما هم ينصرون بإيمانهم وطاعتهم وعون الله لهم. فإذا هم تخلوا عن توجيه الله لهم وتوجيه رسول الله -ﷺ- فقد تخلوا عن سبب النصر الوحيد الذي يرتكنون إليه. ومن ثم كانت تلك الآداب مرعية حتى مع أعدائهم الذين فتنوهم ومثلوا ببعضهم أشنع التمثيل، ولما فار الغضب برسول الله -ﷺ- فأمر بحرق فلان وفلان "رجلين من قريش عاد فنهى عن حرقهما؛ لأنه لا يحرق بالنار إلا الله.

---

(١)هو الحَارث بن مسلم بن الحَارث التَّميمي. قال البخاري: اختلف في اسمه فقيل ما ذكرنا، وقيل: مسلم بن الحارث عن أبيه. قال أبو زرعة: والصحيح الأول. حديثه في الشاميين. لم يوثقه غير ابن حبان: ٣٩١/٥، ولا يعرف بغير هذا الحديث. وقال الدارقطني: مجهول، وباقي رجاله ثقات. ومال الحافظ في التهذيب إلى تضعيفه، إلا أن ابن علان في التفوحات الربانية نقل عنه قوله: حديث حسن. ينظر ترجمته في: تهذيب الكمال (٢١٩/١)، تهذيب التهذيب (١٥٨/٢).

(٢)المغار: بالضم موضع الغارة. ينظر: خصائص اللغة: ١٧٥/٣.

(٣) استحثثت: استفعلت من الحث، وهو الاستعجال في الشيء. ينظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير: ٢/ ٦٠٣

(٤) الرنين: الصوت والاستغاثة. ينظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير: ٢/ ٦٠٣.

(٥)أخرجه أبو داود في سننه،أبواب النوم، باب ما يقول إذا أصبح رقم٥٠٨٠، –٤١٤/٧ .وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف، لجهالة التابعي، وجاء اسمه هنا مسلم بن الحارث، والصواب أنه الحارث بن مسلم كما سلف بيانه في التعليق على الحديث الذي قبله.وأخرجه النسائي في "الكبرى" (٩٨٥٩) عن عمرو بن عثمان وحده، بهذا الإسناد.

أما هؤلاء الذين قاتلوا المسلمين وفتنوهم في دينهم ، وأخرجوهم من ديارهم، فيجب قتالهم حتى يقتلوهم على أية حالة، وفي أي مكان وجدوهم. باستثناء المسجد الحرام؛ إلا أن يبدأ الكفار فيه بالقتال، وإلا أن يدخلوا في دين الله؛ فتكف أيدي المسلمين عنهم، مهما كانوا قد آذوهم من قبل وقاتلوهم وفتنوهم، يقول تعالى: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾﴾ (البقرة: ١٩١-١٩٢).

إنَّ الجهاد القتالي في حقيقته، الحصْن الَّذي لا بدَّ منه لحفظ هويَّة الأمَّة وكيانها، لا مندوحة عنه لنجاح مسعاها الَّذي كلَّفها به الله -ﷻ-نحو إنشاء حضارة إنسانيَّة عادلة، تكلأُ الإنسان من ظلم أخيه الإنسان، وتقيه من الوقوع في مغبَّات منجزاته العلميَّة والحضاريَّة، تلك المغبَّات الَّتي من شأنها أن تفسد وتُشْقي بدلاً من أن تُصلح وتُسعد.[1]

وإذا قامت الحرب بين المسلمين المؤمنين بالقرآن، فإن الإسلام يتشوّف للسلم يبتغيه، ولا يريد الاستمرار في مذبحة، فإن مالوا للسلم أجابهم المسلمون، ولو كانوا يتوقعون الخديعة، ما دامت لم تظهر أماراتها، ولذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال: ٦١: ٦٣] وقد تربت النفس المؤمنة على المحبة، فكانت تكره القتل والقتال إلا أن يكون ذلك جهادا، ولذلك قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾[البقرة: ٢١٦] ، وكان القتال بالجهاد لدفع الشر وتعميم الخير؛ لأن الإسلام يدعو إلى الخير وإلى الفضيلة، وفضيلة الإسلام إيجابية وليست سلبية، فهي تدافع الرذيلة ولا تستسلم.

([1]) الجهاد في الإسلام، محمد سعيد رمضان البوطي، ص٢٢٥.

وإذا كان الوجود يتنازع فيه الخير والشر، والفضيلة والرذيلة، فإنه لا بد من دفاع الخير، لقد أراد الإسلام للناس المحبة، ولكن أراد إبليس لهم البغضاء، فكان لا بد من النزاع بين مبدأ المحبة والبغضاء، وإلا يدفع الشر ساد الفساد، وعمت الرذائل، لذلك شرع مبدأ الجهاد لدفع الشر، ومنع الفساد، ولقد قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١] .

لذلك شرع الجهاد في الإسلام، وأول الجهاد كان عقب الاعتداء وفتنة المسلمين وإيذائهم ليرجعوا عن دينهم، عندئذ أذن الله تعالى بالجهاد وأوجبه، فقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠] .

فما كان الإسلام ليستبيح دماء المخالفين لأجل المخالفة، بل يستبيحها لأنهم استباحوا دم أهله، ولأنهم أرادوا حمل المؤمنين على تغيير دينهم، وفتنوهم في ذلك، والفتنة كما قال تعالى أشد من القتل.

ولأن الإسلام في مشروعية الحرب هو دفع الاعتداء، والفتنة في الدين، فإن الإسلام أباح الهدنة إذا أرادها المخالفون، وحسنها، ودعا إليها، وقال تعالى في ذلك وقد أذن بالقتال العام.

وفرض الإسلام هدنة إجبارية على المسلمين إن التزم بها المخالفون، وهي ألا يكون قتال في الأشهر الحرم، وهي ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب الذي بين جمادى وشعبان. وأوجب ألا يبتدئ فيها المسلمون قتالًا إلا أن يكون امتدادًا لقتال والسكوت يضر، ولا قتال في الأشهر الحرم، ما دام المخالفون يحترموا، فإن انتهكوها فلا يصح لأهل الإيمان أن يظلموا فيهن أنفسهم.

ولقد أمر القرآن الكريم أن يحترم الميثاق بالنسبة لأهله، ولمن لهم به صلة، ولذا قال تعالى: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟

فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾

[النساء: ٨٩-٩١] .

إن هذا النص يدل -أولاً- على ضرورة احترام المواثيق، وكف القتال عن أهل الميثاق، والذين لهم به صلة قومية، ويكون سلمهم سلماً لهم وحربهم حرباً لهم.

ويدل -ثانياً- على أن الذين يكونون ذوي صلة بقوم بينكم وبينهم عداوة، وحصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم، أي: إنهم لم يريدوا أن يكونوا مع المؤمنين على قومهم، ولا مع قومهم على المؤمنين، فهؤلاء لا يقاتلون. [1]

([1])المعجزة الكبرى القرآن من ص٣٦٢: ٣٥٠ بتصرف.

الخاتمة

يخلص أهم نتائج هذا المبحث مما سبق من عرضٍ إلى ما يلي:

أولًا: الجهاد بذل الجهد عن طريق المدافعة، أو القتال في حماية دار الإسلام ودعوة الإسلام، ودين الله -ﷻ- وإزالة الحواجز والعقبات من طريق الدَّعوة الإسلاميَّة حتَّى تبلغ كلمتها إلى العالم، وردْع المعتدين ومنْعهم عن الأذى والفساد.[1]

إن الجهاد الَّذي باركه الإسلام، وندَب إليه، ورغَّب فيه – إنَّما هو الجهاد في سبيل حريَّة الدَّعوة إلى الله، وإلى دينه، وإلى إقْرار العدالة الاجتماعيَّة، والعمل على إمتاع الإنسانيَّة ورفاهيتِها.[2]

ثانيًا: كلمة الحرب إذا أُطلقت في عصورنا ذُكِر معها الخرابُ والدَّمار، واستِباحة الحرمات، ونشْر الفساد والانْحلال والانطِلاق من كلِّ الرَّوابط الإنسانيَّة، حتَّى إنَّه ليؤْخَذ بجرائرها الآمنُ في سربِه والحامل لسيفه، ولكن حروب النَّبيِّين والصدِّيقين والشُّهداء والصَّالحين كانت حروبًا فاضِلة تظلُّها التقوى، فلا يقتل إلاَّ مَن يقاتل بنفسه أو بتدْبيره، أمَّا الزّرَّاع والعمَّال فلا تمتد إليهم يدٌ بأذى.[3]

ثالثًا: معارك النبي -ﷺ- لم تكن للاستِيلاء على الأراضي وقتْل الأبرياء وسفْك الدماء، بل كانت حروبًا دفاعيَّة أو وقائيَّة لمنْع هجوم عليْه أو على الإسلام، فلا خلافَ أنَّ مكَّة

---

(١) لقد بيَّن الفقهاء حكْمَ هذا النَّوع من الجهاد، فمن المتَّفق عليه بين الأئمَّة أنَّه فرض كفاية، أمَّا إذا نزل الأعداء الثُّغور واعتَدَت أيديهم إلى أواسط المعمور، وجاذبونا طرق الرِّفْعة، وانتزعوا من أيدينا الوطَن والبقعة، فلا يُمترى في تعْيين فرضه، ووجوب القيام لله تعالى في أرضِه، والخطاب بذلك يعم الأمَّة، ويخصّ بالتَّعْيين الأئمَّة.

ينظر حكم الجهاد القتالي الذي يدور حكمه بين فرض الكفاية وفرض عين في هذه الكتب: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لابن رشد: ١ / ٣٨٠، المحلَّى بالآثار، لابن حزم الأندلسي: ٧ / ٢٩١، أحكام القرآن، للشَّافعي: ٢/ ٣٠.

(٢)فلسفة الجهاد في الإسلام، السيد عبد الحافظ عبد ربه: ٢٠٠.

(٣) تنظيم الإسلام للمجتمع، محمد أبو زهرة:ص ٤٨ .

بدأت بمعاداتِه واضطهاده ومحاولة استئْصاله، وتبعَتْها قبائلُ الجزيرة العربية، وعادوا ذلك.[1]

رابعًا: الإسلام دين الرحمة، والسلام ،وجاء لهداية الناس مع عدم إكراههم في دخولهم لدينه وترك ما سواه من زيف وباطل.

التوصيات:

١- العمل على طباعة ونشر الكتب التي ترد على كل من يقول في الإسلام ما ليس فيه.

٢- أوصي الأقسام العلمية المتخصصة في الدراسات القرآنية أن تولي دراسة المسائل المشكلة في التفسير بالعناية ، وإفراد كل مسألة بدراسات مستقلة؛ فقد ظهر لي أن هناك الكثير من المسائل لا زالت بحاجة إلى تحرير. وإذا كان المتقدمون قد اهتموا بتفسير القرآن كاملاً للحاجة إلى ذلك ؛فإن الحاجة الآن تدعو إلى إفراد تلك المسائل بالدراسة.

٣-إفراد مسألة التربية بالتدريج في شتى المأمورات والمنهيات بدراسات مستقلة ، لبيان حكمة الله-ﷻ-
في تشريعاته.

٤-دراسة مسائل القتال في الإسلام دراسة متأنية مفرقين بين جهاد الدفع ، وجهاد العدوان، وبيان الاختلاف في أحوال المجاهدين والأحكام الخاصة بهم في الجهاد في الديار وخارجها.

وفي الختام أحمد الله تعالى وأشكره على ما مَنَّ به عليّ من إتمام هذا البحث ،وأسأله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم ،وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

****

[1] ()الإسلام كبديل، مراد هوفمان، تعريب: عادل المعَلّم: ص ١٤٩.

المصادروالمراجع

أولًا: القرآن الكريم.

ثانيًا: كتب التفسير وعلوم القرآن الكريم:

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل-المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي - المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي- الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت-الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.
- بحر العلوم- المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي - تحقيق: د.محمود مطرجي- دار النشر : دار الفكر - بيروت-.
- تفسير القرآن- أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني- تحقيق: ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم- الناشر دار الوطن - الرياض-سنة النشر ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- تفسير القرآن العظيم-المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي -المحقق: سامي بن محمد سلامة-الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع-الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
- تفسير المراغي- المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي - الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر-الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.
- تفسير المنار- المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا -الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب-سنة النشر: ١٩٩٠ م.
- التفسير الميسر- المؤلف: نخبة من أساتذة التفسير- الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - السعودية- الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م.
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم- المؤلف: محمد سيد طنطاوي-الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة- الطبعة: الأولى.

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان-المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي -المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق- الناشر: مؤسسة الرسالة-الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.
- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي- المؤلف: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي -تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش-الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة- الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
- لباب التأويل في معاني التنزيل- المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن - تصحيح: محمد علي شاهين- الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت-الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
- لطائف الإشارات = تفسير القشيري- المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري -المحقق: إبراهيم البسيوني- الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر-الطبعة: الثالثة.
- المعجزة الكبرى القرآن- المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة -الناشر: دار الفكر العربي.
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير- المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري - الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت-الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي- المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي-الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة-الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

ثالثا: الحديث الشريف والسيرة النبوية:

- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان- المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي - ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي -حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط- الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت-الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

-جامع الأصول في أحاديث الرسول: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير - تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط - التتمة تحقيق بشير عيون، مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، الطبعة الأولى، ١٩٦٩م.

- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله -ﷺ-وسننه وأيامه- المؤلف : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله- المحقق : محمد زهير بن ناصر الناصر-الناشر : دار طوق النجاة-الطبعة : الأولى ١٤٢٢هـ.
- سنن أبي داود- المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني -المحقق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي-الناشر: دار الرسالة العالمية-الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- السيرة النوية في العهد المكي- طريقة ومنهاجًا- أبو حمزة الخطيب، مجلة الوعي: العدد ٢١٦، السنة ١٩، محرم ١٤٢٦هـ، فبراير ٢٠٠٥م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري-المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي-الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ه-رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي.

- فيض القدير شرح الجامع الصغير-المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري -الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر-الطبعة: الأولى، ١٣٥٦ه.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل-المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني -المحقق: أحمد محمد شاكر-الناشر: دار الحديث – القاهرة-الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله -ﷺ- لمسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري- المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي-ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- المصنف في الأحاديث والآثار-المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي -المحقق: كمال يوسف الحوت- الناشر: مكتبة الرشد – الرياض-الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ه.

رابعًا: اللغة والمعاجم:

- أساس البلاغة، لمحمود بن عمر جار الله الزمخشري- تحقيق: محمد باسل عيون السود-ط/ دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان- الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- التوقيف على مهمات التعاريف، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي- الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة-الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير-المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس -الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.
- النهاية في غريب الحديث والأثر – ابن الأثير لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري- ط/ المكتبة العلمية – بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م -تحقيق : طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي.

- لسان العرب–المؤلف : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري–الناشر : دار صادر – بيروت–الطبعة الأولى.

خامسًا: كتب التاريخ والأعلام:

- أسد الغابة في معرفة الصحابة – المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد، المعروف بابن الاثير –المحقق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود–الناشر: دار الكتب العلمية–الطبعة: الأولى–سنة النشر: ١٤١٥هـ – ١٩٩٤ م.
- الإصابة في تمييز الصحابة–المؤلف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي–الناشر : دار الجيل – بيروت–الطبعة الأولى ، ١٤١٢ه– تحقيق : علي محمد البجاوي.
- تاريخ دمشق– المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر –المحقق: عمرو بن غرامة العمروي– الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع–عام النشر: ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.
- تهذيب التهذيب–المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني –الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند–الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.
- تهذيب الكمال–المؤلف : يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي– الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت–الطبعة الأولى ، ١٤٠٠ه – ١٩٨٠م– تحقيق : د. بشار عواد معروف.
- سير أعلام النبلاء–المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي –الناشر: دار الحديث– القاهرة–الطبعة: ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م.
- الطبقات الكبرى–المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد –تحقيق: محمد عبد القادر عطا–الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت–الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م.

سادسًا: أخرى:

- الإسلام كبديل، مراد هوفمان سفير المانيا بالرباط- تعريب: عادل المعَلّم- ط/مكتبة العبيكة-ط/١٤١٨ه ١٩٩٧م.
- أصول الفكر التربوي في الإسلام، لعباس محجوب-ط/عالم الكتاب الحديث ط/٢٠١٣م.
- الأهداف التربوية للعبادات في الإسلام، محمد حسين أحمد، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التربية، كلية التربية، جامعة طنطا، قسم أول التربية، غير منشورة.
- تجلِّيات في أسماء الله الحُسنى، للدكتور: عبد المنعم الحنفي-ط/مكتبة مدبولي ط/١٩٩٧م.
- تربية الأطفال في ضوء القرآن والسنة، يوسف بديوي، محمد محمد قاروط- ط/دار المكتبي-سوريا.
- تطور الفكر التربوي، للدكتور سعد مرسي أحمد- ط/عالم الكتاب- الطبعة الثانية عشر،١٤٢٥هـ٢٠٠٤م.
- تنظيم الإسلام للمجتمع، محمد أبو زهرة-ط/دار الفكر العربي-القاهرة.
- الجهاد في الإسلام، محمد سعيد رمضان البوطي-ط/دار الفكر المعاصر-بيروت.
- العِلاقات الإسلاميَّة النصرانيَّة في العهْد النبوي- لفاروق حمادة-ط/دار القلم للطباعة والتوزيع-ط/٢٠١٠م.
- فلسفة الجهاد في الإسلام، السيد عبد الحافظ عبد ربه-ط/دار الكتاب اللبناني- ٢٠١٠م.
- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع-المؤلف: عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفيّ الدين -الناشر: دار الجيل، بيروت-الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ.
- معجم البلدان- المؤلف : ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله- الناشر : دار الفكر – بيروت.

- منهج النَّبيِّ -ﷺ- في الدعوة: لمحمد أمحزون -طبعة: دار السلام، مصر:الطبعة: الخامسة.
- موسوعة الجياش